الفصل الخامس

استراتيجية الإطاحة بمحمد نجيب

المراحل الرئيسية للاستراتيجية

في ١٧ يوليه ١٩٥٣، أدلى جمال عبد الناصر بحديث، إلى جريدة الأهرام، قال فيه "إن الجمهورية آتية لا ريب فيها". وأكد "أن أصلح نظام حزبي يجب أن يقوم في مصر الحديثة هو النظام الذي يقوم على أساس ديمقراطي صحيح"، لماذا نفكر في قيام حزب واحد، أو في قيام الحكم المطلق، وقد تحولت الدول، التي طبقته إلى تطبيق النظام الديمقراطي الصحيح، وتعدد الأحزاب؟ ولم لا نفسح المجال أمام كل مبدأ تعتنقه جماعة صالحة، ويستهدف خدمة الوطن، في أن يعيش، ويعمل في حرية، لخدمة المجموع" ؟ وقال: "إن هيئة التحرير ليست حزباً سياسيّاً، ولم تنشأ لتكوين حزب سياسي يجر المغانم، على الأعضاء، أو يستهدف شهوة الحكم والسلطان، أما السبب، في تأسيسها، فيرجع إلى الرغبة في إيجاد أداة لتنظيم قوى الشعب".

هذا ما صرَّح به جمال عبد الناصر فماذا تحقق منه على أرض الواقع ؟

الحقيقة أنه بعد إلغاء الدستور وحلِّ الأحزاب السياسية ومحاكمة أعضائها والتشهير برموزها واستيلاء مجلس قيادة الثورة على الجيش والشرطة والحكومة وجميع المناصب العامة، وخضوع عامة الناس لحكم مجلس قيادة الثورة لم يكون عبد الناصر وأنصاره ليقبلوا أن ينتخب رئيس الجمهورية من الشعب مباشرة، وأن تكون مدة رئاسته خمس سنوات ميلادية قابلة للتجديد مرة واحدة كما قرر القائمون على وضع الدستور الجديد، لأن معنى ذلك حرمانهم والأبد من الحكم والسلطة التي استمرءوها فقد كان من المستحيل – حينئذ – أن يترك الشعب مصطفي النحاس، حسن الهضيبي، محمد صلاح الدين، لطفي السيد، عبد الرحمن الرافعي، د. محمد حسين هيكل (١) محمد حافظ رمضان، إبراهيم عبد الهادي، أحمد حسين، علي ماهر، أحمد نجيب الهلالي، د. عبد الرزاق السنهوري، ... إلخ من رجال السياسة المحنَّكين الذين طبقت شهرتهم الآفاق ليختار جمال عبد الناصر ذلك البكباشي المغمور أحد أعضاء تنظيم الضباط الأحرار الذي قام بالثورة .

---

(1) د. محمد حسين هيكل رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، وليس الصحفي محمد حسنين هيكل .

وإن اختار الناس أحد قادة الثورة التي خلَّصتهم من الحكم الملكي الفاسد ونفَّذت بعض المشروعات الخِدْميَّة المُلحَّة ووعدتهم بدستور عصري جديد وديمقراطية حقيقية وحياة حزبية سليمة فليس أمامهم إلا أن يختاروا محمد نجيب رئيس مجلس قيادة الثورة والقائد العام للجيش ورئيس الوزارة، والذي ينسب إليه كل ما أنجزته الثورة ، والذي صار حديث الناس ، وتتصدَّر أخباره وسائل الإعلام ، وتذاع خطبه باستمرار في المذياع ، وتحتشد الجماهير لتحيته حيثما سار .

لكن عبد الناصر يحس أنه هو قائد الثورة الحقيقي وأن كل ما تحقَّق كان له فضل كبير في التخطيط له وتنفيذه، وإذا كان الناس على استعداد أن يختاروا محمد نجيب رئيساً لهم ففي استطاعته أن يتخلَّص منه، ويحلَّ محله في السلطة وفي قلوب الناس، ولكن كيف يتمُّ له ذلك ومحمد نجيب يملك كل أسباب القوة : قيادة الجيش ، ورئاسة الوزارة، واحترام أعضاء الأحزاب المنحلَّة، وقادة الرأي، وتنظيم الإخوان المسلمين، ووسائل الإعلام، وحب الجماهير . وعبد الناصر لا يملك من ذلك شيئاً لكنه يملك تاريخ طويل في العمل السري، وإصرار عنيد على الوصول إلى ما يريد، وتخطيط دقيق لما يقوم به، وعزم حديد على تنفيذ ما خطط له، وتحد كبير للصعاب، ومرونة شديدة في التكتيك، وإقدام جريء على تدبير المؤامرات إن لزم الأمر . لقد كان عبد الناصر قبل الثورة يعمل أستاذاً في كلية أركان حرب وكان يقوم بتدريس مادتي : المخابرات والتحركات .

وبعد أن كانت السلطة لم تخطر ببال عبد الناصر وهو بعيد عنها أصبحت في قلبه لما صار في قلبها، وبعد أن كان زاهداً فيها صار طموحاً إليها، ودونك المراحل الرئيسية للاستراتيجية التي وضعها عبد الناصر وعاونه فيها أغالبية أعضاء مجلس قيادة الثورة للتخلص من محمد نجيب .

١- إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية وتعيين محمد نجيب رئيساً للجمهورية في مقابل تنازله عن قيادة الجيش لعبد الحكيم عامر صديق عبد الناصر الصدوق.

٢- الإكثار من ظهور عبد الناصر في وسائل الإعلام موحياً للناس أنه هو الرجل القوي في مجلس قيادة الثورة .

٣- العمل على عزل محمد نجيب عن وسائل الإعلام .

٤- تلميح عبد الناصر للجماهير أن محمد نجيب رجل مستبد يسعى للاستئثار بالسلطة ويعمل لمصلحته الشخصية لا لمصلحة الوطن .

٥- استمالة عبد الناصر معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة إليه وانتزاع تفويض عام منهم بحرية التصرف في مواجهة نجيب .

٦- عمل عبد الناصر على منع نجيب من اتخاذ أي قرار سياسي وذلك بالاتفاق مع مؤيديه في مجلس قيادة الثورة على القرارات قبل عرضها على محمد نجيب الذي يضطر إلى إصدارها رغم عدم موافقته عليها عملاً بمبدأ أن القرارات التي يصدرها مجلس قيادة الثورة تكون بأغلبية أصوات أعضاء المجلس .

٧- أمر نجيب بإبعاد رجاله المحيطين به والمخلصين له كما حدث مع الملك فاروق قبل عزله .

٨- تهديد عبد الناصر المباشر لنجيب بالخضوع لكل ما يُطْلَب منه .

٩- عمل تنظيمات داخل الجيش بمساعدة عبد الحكيم عامر تدين للولاء له ؛ لكي تسانده إذا حدث صراع مسلح على السلطة .

١٠- العمل على إقصاء قيادات الجيش والشرطة التي تحب محمد نجيب .

١١- السيطرة عبد الناصر التامة على مجلس الوزراء فيعين فيه من يشاء ويقصي من يشاء دون الرجوع إلى محمد نجيب رئيس مجلس الوزراء !!

١٢- تقرب مجلس قيادة الثورة إلى الجماهير بالقيام ببعض المشروعات الخدمية لكسب حب الناس وثقتهم وإضعاف حبهم لنجيب والارتباط به .

١٣- حل جماعة الإخوان المسلمين وإشعال الفتن بين أعضائها لتمزيق وحدتهم وتفريق شملهم بسبب تأييدهم لنجيب، ثم يستتبع ذالك محاولة تقرُّب عبد الناصر إليهم واستقطابهم لكسب تأييدهم .

١٤- استبدال أهل الثقة من الضباط الموالين لعبد الناصر بأهل الخبرة في المناصب العامة للدولة .

١٥- إفساد عبد الناصر مباحثات الجلاء مع الإنجليز التي كان يرأس وفد مصر فيها محمد نجيب بالإيحاء للانجليز بوجود خلاف بين مجلس قيادة الثورة، ونجيب .

١٦- تحالف عبد الناصر مع الأمريكان للإطاحة بنجيب ومساعدته للوصول إلى سدة الحكم .

١٧- وفي النهاية يضطر محمد نجيب إلى تقديم استقالته ، فَيُسَارَع بإذاعتها على الناس مصحوبة بالتشهير الصريح بنجيب للقضاء المبرم عليه .

الأدلة الواقعية التي تؤكد هذه الاستراتيجية

ليست استراتيجية الإطاحة بمحمد نجيب ادعاءات كاذبة من أعداء جمال عبد الناصر ومبغضيه، ولا نوايا مضمرة في القلوب لا يعلمها إلا الله ، إنما وقائع حقيقية مسجلة في التاريخ، وحقائق واقعيَّة ثابتة أقرَّ بها مؤيدو عبد الناصر من مجلس قيادة الثورة ومؤرخو الناصرية المنصفون . وسيكون مرجعنا الرئيسي ما كتبه عبد اللطيف البغدادي في مذاكراته التي يقول عنها : " كان الخلاف بين محمد نجيب وأعضاء مجلس قيادة الثورة قد بدأ يتزايد يوماً بعد يوم حتى أصبح الموقف في النهاية وبعد عدة مصادمات وكأن محمد نجيب في جانب وأغلبية أعضاء المجلس في الجانب الآخر. ولكن كيف تطور هذا الخلاف وطفح على السطح بتلك الصورة وأصبح علينا ومهدداً الثورة ومسيرتها ؟؟ .. هذا ما سأحاول أن أوضحه – وفي رأيي– أن أفضل طريقة هي أن أذكره هنا كما جاء في يومياتي والتي كنت أقوم بتسجيلها تباعاً أثناء تلك الأزمة لإحساسي بالخطر الذي كان يعترض طريق الثورة. " [1]

ونبدأ بأهم وقائع هذه الاستراتيجية وهي كيفية تحويل عبد الناصر المَلَكيَّة إلى جمهورية قبل انتظار صدور الدستور الذي تعده لجنة الخمسين وكيف ربط تعيين محمد نجيب رئيساً للجمهورية بتعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للجيش .

كيف تحوّلت الملكية إلى جمهورية ؟

في ٢٤ مارس ١٩٥٣ كان على لجنة " الخطوط الرئيسية " المنبثقة عن لجنة الخمسين أن تناقش النقطة الخاصة بنظام الحكم ، هل يكون مَلَكيّاً، أم جُمْهُوريّاً ؟ هل يكون جمهورية برلمانية ؟ أم يكون رئاسية .

كانت اللجنة مكونة من عبد الرزاق السنهوري ، ومكرم عبيد ، والسيد صبري ، وعبد الرحمن الرافعي ، وعثمان خليل ، وكلهم من الخبراء في القانون والدستور .

وانتهت اللجنة إلى أن يكون نظام الحكم جمهوريّاً، وأن تكون الجمهورية برلمانية، ونقلت اللجنة الفرعية إلى علي ماهر المسئول عن اللجنة فأمر بإبلاغ الخبر إلى الصحف فوراً، لكي يرد على كل الذين اتهموا لجنة الدستور التي يرأسها بالخمول، وكان بعض ضباط القيادة وعلى رأسهم جمال عبد الناصر كانوا " يطلبون التأجيل بل

([1]) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ٨٥

يتمنون أن لا ينتهي عمل الجنة أبداً؛ فقد بدأت كلمة الدستور تؤرقهم، وبدءوا يشعرون أن ميلاد الدستور يعني نهاية حكمهم، يعني موتهم هم "[١]

وفي الخامس من مايو ١٩٥٣ وافق أعضاء لجنة الدستور الخمسون على اتخاذ النظام الجمهوري أساساً لوضع مشروع الدستور الجديد .

وقال تقرير اللجنة في نهايته، بعد أن استعرض مفاسد النظام الملكي: " من أجل ذلك رأت اللجنة بإجماع الآراء ترك النظام الملكي والأخذ بالنظام الجمهوري، ويسرها أن تتلاقى هذه النتيجة مع ما يحس أنه هو الاتجاه الشعبي الواضح، على أنها ترى مع ذلك استفتاء الشعب للتعرف على رأيه وفي هذه المسألة الجوهرية التي هي أقرب إلى أن تكون مسألة شعبية تتعلق بالشعوب من أن يكون مسالة فنية تتعلق بالدستور . "

وبعد أيام أقرت اللجنة المبادئ التالية :

١- يقوم إلى جانب رئيس الجمهورية، وهو رئيس الدولة، مجلس للوزراء برئاسة رئيس مجلس الوزراء .

٢- ينتخب رئيس الجمهورية من الشعب مباشرة بواسطة هيئة الناخبين التي لها حق انتخاب مجلس النواب .

٣- مدة رئاسة الجمهورية خمس سنوات ميلادية قابلة للتجديد مرة واحدة .

٤- إذا توفى رئيس الجمهورية أو أصبح منصبه شاغراً قبل نهاية مدته لأي سبب حلَّ محله مجلس الشيوخ إلى حين انتخاب خلف له .

ورغم كل ما قيل عن مشروع الدستور وأعمال لجانه ، فإن علي ماهر وباقي أعضاء اللجنة الأم لم ينتهوا من مناقشته وإقراره إلا في أغسطس ١٩٥٤ .

وكان طبيعيّاً ألا يتغير النظام من ملكي إلى جمهوري قبل صدور الدستور الجديد، إلا أن عبد الناصر وجماعته كان لهم رأي آخر فقد كانوا لا يريدون أن يسيروا في الطريق الدستوري الذي كُلِّف بعمله الخمسون عضواً من أساطين القانونيين وفقهاء الدساتير في العالم العربي .

قام عبد الناصر دون أخذ رأي مجلس قيادة الثورة الذي تعاهد أعضاؤه ألا يتخذوا رأياً إلا بموافقة أغلبية الأعضاء فيه، وهذا هو السلاح الذي كان عبد الناصر يشهره في وجه محمد نجيب إذا أراد إصدار أي قرار لا يوافق عليه محمد نجيب رئيس

([1]) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ١٩٤ .

مجلس قيادة الثورة، قام عبد الناصر في سريَّة تامة بتكليف محمود رشيد بالإعداد لإقامة الجمهورية .

يقول محمود رشيد : في يوم ٢٨ يوليه ١٩٥٢، جاءني الصاغ سعد توفيق في مكتبي، بشارع شريف، وقال لي إن جمال عبد الناصر يريدك غداً بمقر القيادة في كوبري القبة. وذهبت في صباح اليوم التالي إليه وقال لي: " نحن عسكريين ليس لنا صلات قوية بالحياة المدنية، وبالتالي بالحياة السياسية. ولقد سمعت عنك، وعرفت ماضيك السياسي وخبرتك، أريدك أن تعمل معنا كمستشار. وسيكون عملك معي، إنني في حاجة إليك". ووافقت على العمل معه. "

وبعد أن توطَّدت العلاقة بينهما، كلَّف جمالُ عبد الناصر محمودَ رشيد ، بعمل خطير وسري، قائلاً له: هذه المهمة التي أكلفك بها تحتاج إلى سرية تامة، إن زملائي لا يعرفون عنها شيئاً، ولا أريد أن تتحدث عنها، حتى مع زوجتك، أو أقاربك. أنني أريد منك قانوناً، تضع فيه، كل إمكانياتك القانونية، وثقافتك السياسية، حول شرعية إسقاط النظام الملكي، وإقامة الجمهورية.

ويقول محمود رشيد: " قد يبدو مثل هذا الطلب الآن شيئاً عاديّاً، لكنه، في تلك الأيام، خلال الأشهر الأولى من ثورة ٢٣ يوليه يمثل تطوراً خطيراً، فرحت بهذا التكليف، وبدأت أعمل سرّاً، وكل ورقة انتهي منها أعرضها عليه، ليناقشني فيها، خلال لقاءات لا تجمع غيرنا. وكان إذا دخل أحد زملائه علينا توقَّف عن الحديث، وغطَّى الأوراق الموجودة أمامه، وشعرت أن زكريا محيي الدين يتابعنا باهتمام، ويحضر كلما جئت للقاء عبد الناصر. وسأل، أكثر من مرة، ماذا تفعلان؟ وكان عبد الناصر يجيبه بقوله: إنني أستمع إلى ذكريات محمود عن الأحزاب والحكومات السابقة، إنها ذكريات مثيرة، ومعلومات أسمعها لأول مرة . وبالطبع لم يكن ذلك صحيحاً !

وقد سألتُ جمال عبد الناصر، بعد أن انتهيت من بحثي، وبعد أن قرأه وهنأني عليه: هل ستعلن الجمهورية ؟ فأجاب: إنها مسألة خطيرة جداً، وأريد تأمين ثورتنا حتى نقوم بهذه الخطوة، تأمين الثورة، ليس داخليّاً فقط، بل خارجياً ودوليّاً كذلك." [١]

هكذا خطَّط عبد الناصر لإقامة جمهوريته، وبعد أن أتمَّ إعدادها مع محمود رشيد، بدأ يقنع بها في جلسات سرية أيضاً مجموعته من مجلس القيادة، حتى إذا ما تم إقناع

([1]) خالد بن سلطان " موسوعة مقاتل من الصحراء " الفصل الخامس عشر " إعلان الجمهورية " .

الكثير منهم، وقد كان عبد الناصر ذا تأثير كبير على معظم أعضاء قيادة الثورة، بدأ يعد الأمر لعرضه على محمد نجيب مبيناً له أن جميع أعضاء مجلس القيادة يؤيدون إعلان الجمهورية .

يقول خالد محيي الدين : " عندما أعلنت الجمهورية، عين اللواء محمد نجيب رئيساً للجمهورية. لكن الحقيقة التي أود أسجلها للتاريخ هي، أن اللواء محمد نجيب قد قاوم بشدة مسألة إعلان الجمهورية؛ فهو رئيس مجلس الثورة المالك لسلطة السيادة، ورئيس الوزراء الممسك بزمام السلطة التنفيذية، وهو كذلك، القائد العام للقوات المسلحة، صاحبة الثقل الأساسي في السلطة، وكان المشروع الذي قدمه جمال عبد الناصر، الذي كان متحمساً للإسراع بإعلان الجمهورية، بأن يعين شخص آخر قائداً عاماً للقوات المسلحة .

كان محمد نجيب، منذ البداية، قد أعد نفسه ليستمر حاكماً، ولم يكن محمد نجيب وحده صاحب الطموح غير المحدود، كان هناك كذلك جمال عبد الناصر، لكنه كان أكثر ذكاء، فكان يربط طموحاته بطموحات الحركة، وطموحات الثورة بل وطموحات مجلس الثورة. وإذ كان محمد نجيب يعلم، علماً يقيناً، أن جمال عبد الناصر لن يسمح له بالاحتفاظ بكل السلطة، في يديه، فقد حاول أن يبحث عن مصدر للقوة يتحصن به، ضد سلطة "مجلس الثورة"، ولجأ محمد نجيب إلى الجماهير، فأكثر من جولاته الجماهيرية، وتحدث إليها بلهجة خالية من الترفع، ظهر، أمام الناس، حاكماً بسيطاً له مشاعر أبوية. وحاول أن يكون نسخة معدلة ومحسنة من مصطفى النحاس، وقد أكسبه ذلك جماهيرية واسعة، كانت تثير القلق لدى جمال عبد الناصر، وبعض الزملاء، في "القيادة"، كما كان لمحمد نجيب نفوذ، وسط السودانيين، في فترة كانت مصر تتطلع فيها لقبول السودان لمبدأ الوحدة معها، وكان محمد نجيب يلح، صراحة أو تلميحاً، ويحاول أن يرتب أن يكون الوحيد الظاهر أمام الجماهير، وأن يتوارى كل أعضاء مجلس الثورة، منكرين لذواتهم، ولم يكن هذا سهلاً ولا مقبولاً .

لكن كل هذه الأوراق التي امتلكها محمد نجيب كانت أضعف بكثير من أوراق مجلس الثورة، ومن نفوذنا داخل القوات المسلحة ومن الأغلبية في المجلس التي كانت دائماً إلى جانب جمال عبد الناصر. وأخيراً رضخ محمد نجيب وقبل أن يصبح رئيساً للجمهورية، وأن يتخلى عن موقعه كقائد للقوات المسلحة، وخاصة أن الزملاء قد تحدثوا طويلاً عن انشغاله عن القوات المسلحة، وفي هذه الحالة يصبح محمد إبراهيم

رئيس الأركان قائدنا جميعاً. ولذلك تم اختيار عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للجيش. " (١)

كيف عيّن عبد الحكيم قائداً عاما للقوات المسلحة ؟

هناك مشكلة واجهت عبد الناصر كيف يجعل محمد نجيب رئيساً للجمهورية وهو الذي يريد أن ينفرد بالحكم ؟ إن الأمر يحتاج إلى تدبير محكم، كيف ؟

من المستحيل كما قلنا أن يطالب عبد الناصر بعد نحو ستة أشهر فقط من نجاح الثورة أن يكون أول رئيس للجمهورية، فليكن الأمر على مراحل، لا بأس أن يتولى محمد نجيب رئاسة الجمهورية في البداية حتى تحظى رئاسة الجمهورية بالقبول من كل طوائف الشعب حتى ولو لم تكن قد جاءت عن الطريق الدستوري، ثم يربط القرار بقرار آخر وهو، عزل محمد نجيب عن قيادة القوات المسلحة، وتعيين الصديق الصدوق عبد الحكيم عامر، وبهذا تكون عصا الجيش التي كان يحكم بها الملك فاروق والتي انتزعتها منه ثورة ٢٣ يوليو، ووضعتها في يد محمد نجيب تصبح هذه العصا في يد جمال عبد الناصر، ومادامت عصا الجيش في يده يسهل عليه بعد ذلك السيطرة على مجلس قيادة الثورة، وعزل محمد نجيب وتولى الحكم في الوقت المناسب .

يقول أحمد حمروش (أحد الضباط الأحرار والمؤرخ الناصري الشهير) : " كان جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة يمارس عمله داخل المجلس وخارجه بتركيز شديد يعطي ليله ونهاره للاتصال بالضباط والسياسيين ومناقشة المشاكل العامة والاستعداد لجلسات مجلس القيادة حتى ينتصر رأيه وكانت براعته في اجتذاب بعض زملائه لجانبه والحصول على الأغلبية التي يريدها أمراً لا يتوفر لأحد من زملائه الذين كثيراً ما كانت تفرقهم بعض المشاكل أو الاهتمامات الخاصة ، والذين لم يحدد أحد منهم طريقه أو رأيه الخاص، وإنما كان يندفع مع المجموعة في حماس شديد تاركاً التفكير لغيره .

كان جمال عبد الناصر يتميز خلال هذه الفترة بمرونة فرضتها طبيعة الأحداث فهو لم يجمد عند رأيه الخاص بالديمقراطية والأحزاب مثلاً، وإنما اختار طريق انفراد المجلس بالسلطة عندما وجده ممهداً ومحل استجابة من زملائه .. كما أنه هو مركز

---

(1) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

حركة الضباط الأحرار، وأكثرهم اتصالاً بالضباط والقوى السياسية المختلفة قبل ٢٣ يوليو، فإنه ظل أكثرهم اتصالاً بمختلف الضباط أيضاً بعد الحركة، مدركاً أن قوته تأتي من صلته الوثيقة بزملائه في مختلف الأسلحة ولكن استمرار هذه الاتصالات كان يشكل عبئاً شديداً عليه في وقت تضخمت فيه المسئوليات وتعددت الواجبات، فاستقر رأيه على تعيين الصاغ عبد الحكيم عامر زميله وصديق عمره وأقرب زملائه لقلبه وأكثرهم إخلاصاً ووفاءً له قائداً عاماً للقوات المسلحة بدلاً من محمد نجيب . كانت الفكرة خطيرة وجريئة معاً، فإن ترقية صاغ إلى رتبة لواء هو أمر يتناقض تماماً مع انضباط القوات المسلحة، ويتنافر مع طبيعة الضباط الذين تمثل الأقدمية عندهم شيئاً مقدساً .

وكان الإعلان عن هذه الفكرة بطريقة مجردة حريّاً بأن يقابل بالرفض والمعارضة من جانب محمد نجيب الذي عاش حياته جنديّاً يعتز بجنديته، ورأى جمال عبد الناصر أن يربط هذه الخطوة الجريئة بخطوات أخرى تكون أكثر جاذبية لاهتمام الناس، وتضعف من صلابة المقاومة عند نجيب وزملائه في مجلس القيادة.

ومن هنا كان الربط بين ترقية عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة وبين إعلان الجمهورية وتعيين محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر .

ولكن محمد نجيب لم يوافق، اعترض ورفض، وقال إنه قاوم تعيين محمد حيدر قائداً للقوات المسلحة لأنه كان بعيداً عن صفوف الجيش، وهو يقاوم تعيين عبد الحكيم عامر قائداً للجيش لأنه ليس مهيأً لذلك .

ولم ييأس جمال عبد الناصر من تحقيق فكرته، كرر عرض الموضوع على المجلس أكثر من مرة، وتعرَّض محمد نجيب لتهجم بعض أعضاء المجلس، ولكنه ظل يقاوم ثلاثة أسابيع كاملة حتى أذعن .

فكر محمد نجيب في الاستقالة، ولكنه لم يقدم عليها، وهو يقول في ذلك: " أعترف أن هذا كان خطئي الكبير الذي وقعت فيه فقد شعرت بعد قليل أنني أصبحت في مركز أقل قوة بعد أن تركت قيادة الجيش . "

وقال لي زكريا محيي الدين : " إن قوتهم كأفراد يشكِّلون سلطة المجلس قد انتهت بتعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة . " (١)

---

(1) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه " ج١ مرجع سابق ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

ويؤكد خالد محيي الدين رغبة عبد الناصر في تعيين عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة رغماً عن نجيب فيقول : " ظل نجيب متشبثاً بموقفه بصورة عنيدة، وطول أسبوع كامل استمرت مناقشتنا مع نجيب لتدور في حلقة مفرغة، أخيراً نفد صبر جمال وألقى بالأوراق على مائدة الاجتماعات صارخاً في وجه نجيب : "خلاص نقوم نروَّح إحنا ما دمنا غير قادرين على التفاهم، ولن نترك أبداً شخصاً واحداً متحكماً فينا وفي كل شيء " وهنا انفجر نجيب باكياً وقال : " إذا كنتم تريدون مني أن أمشي وأترككم أنا مستعد أمشي ." وبكى بعض الزملاء ربما تأثراً وربما تجاوباً أو مجاراة . لكن قلب جمال لم يلن بل أفلتت من فمه عبارة " دموع التماسيح " وفي هذه الجلسة التاريخية خرج عبد الناصر فائزاً بكل الأوراق، فقد أبعد نجيب من قيادة الجيش، ووضع في هذا الموقع الحساس أخلص خلصائه – في حين ذلك – عبد الحكيم عامر ، ومن موقعه كنائب لرئيس الوزراء استطاع جمال عبد الناصر أن يدير كل شيء، وأن يدبر كل أمر .. وباختصار وُضِعت اللبنات الأولى للتحرك نحو الهدف: إبعاد نجيب، وتولي جمال " (١)

ويقول عبد اللطيف البغدادي : " وكنت معتقداً أن جمال عبد الناصر لم يرشح عبد الحكيم لتولي قيادة الجيش إلا لغرض سياسي، وأنه يهدف إلى أن تصبح له السيطرة السياسية دون باقي المجلس. وذلك عن طريق مساندة الجيش له. وأن الذي يضمن له ذلك هو تعيين عبد الحكيم قائداً عاماً له معتمداً على قوة الصداقة المتينة والتفاهم القائم بينهما. كما كنت أخشى أيضاً من تولي عبد الحكيم أمر الجيش أن يصبح الجيش في المستقبل أداة تدخل في السياسة العامة ومدى خطورة هذا على مستقبل البلاد. لذا رأيت أن أعترض على اقتراح جمال مبيناً أنه من الأفضل أن يتولى أمر الجيش ضباط محترفون للتفرغ له والابتعاد به عن السياسة. ذاكراً أن الجيش إذا تدخل في السياسة فسد الجيش وفسدت السياسة أيضاً، وأن هذه محصلة تجارب على مدى التاريخ. ولكن جمال عبد الناصر تمسك باقتراحه مبيناً أنه من المستحيل أن يوكل أمر الجيش لشخص غريب وليس منا فيتحكم في رقابنا على حد تعبيره. وموقفي هذا من تعيين عبد الحكيم خلق حساسية منه نحوي لم أعلم بها إلا فيما بعد من جمال سالم.

وعندما أعلن قرار تعيين عبد الحكيم قائداً عاماً للجيش تقدم قائد سلاح الطيران اللواء حسن محمود باستقالته من القوات الجوية ورفض أن يستمر في منصبه احتراماً لرتبة اللواء التي كان يحملها على حد قوله. ولأن عبد الحكيم الذي كان صاغاً ثم رقي

---

(1) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ١٣٨ .

إلى رتبة اللواء دفعة واحدة سيرأسه هو ولا يرضى لنفسه بهذا الوضع. وظل متمسكاً بموقفه رغم محاولتي مع حسن إبراهيم إقناعه بالاستمرار وكان ذلك بتكليف من المجلس لنا. ولكنه أصر على موقفه احتراماً للأقدمية العسكرية. وفرق بين منصب القائد العام كمنصب عسكري ومنصب وزير الحربية كمنصب سياسي. وأن لا يضيره من يشغله. وتبعاً لهذا الإصرار منه قبلت استقالته وعين بدلاً منه الطيار محمد صدقي محمود. " [1]

والطيار محمد صدقي محمود هذا هو سبب كل الكوارث التي حلَّت بالطيران المصري في حرب السويس ٥٦ وهزيمة يونيو ٦٧ .

أرأيتم كيف كان خطَّط جمال عبد الناصر للاستيلاء على السلطة لدرجة أنه عيَّن الصاغ عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للجيش مصر مُضحياً بأمن مصر كلها من أجل أمنه هو داخل مجلس قيادة الثورة ، وكسب جولة مهمة في صراعه على السلطة !

نتائج تعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للجيش

يقول أحمد حمروش : " كان وصول عبد الحكيم عامر إلى مركز القيادة العامة للقوات المسلحة نقطة تحول في سيطرة أعضاء مجلس القيادة على الجيش بصفة عامة ، وسيطرة جمال عبد الناصر على أعضاء مجلس القيادة بصفة خاصة . كان تعيين عبد الحكيم عامر هو نهاية اتصال أعضاء مجلس القيادة بالضباط زملائهم في مختلف الأسلحة ، وقد استقر الأمر على ذلك بدعوى الحرص على الانضباط العسكري، بينما هو في حقيقته قد انتهى إلى عزلة هذه المجموعة من ضباط الجيش، فلم يعودوا بقادرين على تحريك قواتهم السابقة أو مناقشة أمورهم بصفة قانونية .

وقد أصبحت اليد العليا في السيطرة على القوات المسلحة هي يد جمال عبد الناصر الذي يثق ثقة شديدة في صديقه عبد الحكيم عامر، والذي كانت صفاته الشخصية تجذب الضباط إليه لروحه المرحة وطيبته وإنسانيته، رغم أنه لم يكن يملك مواصفات قائد القوات المسلحة الذي يحتاج إلى يقظة وعلم وخبرة وشخصية متماسكة . وقد أدى هذا التعيين إلى وضع خط فاصل بين ضباط الجيش وضباط القيادة كما وضع نهاية الانضباط الذي تفرضه الأقدمية، ذلك أن الرُّتب الكبيرة كانت تشعر دائماً أنها تحت مراقبة ونفوذ بعض الضباط الأصغر رتبة والأكثر قدرة على الاتصال بالقائد الجديد وحاشيته .

([1]) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ٧٧ ، ٧٨ .

وبلغ الأمر حدّاً جعل شمس بدران وهو ضابط برتبة الصاغ يتسلط على مصير القوات المسلحة ، ويمتهن أفراد الرُّتب الكبيرة فتضطر إلى تحيته لأنه كان مديراً لمكتب القائد العام عبد الحكيم عامر !!

وانتهى تماماً عهد الجيش النظامي التقليدي، ولم يبدأ عهد الجيش الوطني الثوري، وإنما بدأ عهد الجيش الذي يتم الإشراف عليه بصلات شخصية خفيَّة . ولم يتم التغيير دفعة واحدة ، وإنما تمَّ خلال مراحل من المصادمات ، أدت إلى نقل بعض الضباط للعمل خارج الجيش ، وإلى دخول البعض منهم إلى السجن ." [١]

ويقول عبد اللطيف البغدادي : " وكان من نتائج تعيين عبد الحكيم قائداً عاماً للجيش أن أبعد باقي أعضاء المجلس عن وحداتهم العسكرية تدريجياً بحجة أن نترك حرية العمل لعبد الحكيم حتى لا نتسبب في سوء تفاهم بيننا لو استمرت علاقتنا بزملائنا الضباط، وعمل على إبعاد زملائنا عنا بواسطة ضباط مكتب عبد الحكيم. وكان ذلك يجري بتهديدهم أو بحجة ابتعادهم عنا حتى لا يضاروا. وكان يعمل في نفس الوقت على تقربهم من عبد الحكيم بخدمات تقدم إليهم حتى أصبح لا هم للكثير من الضباط إلا التقرب من عبد الحكيم وجمال عبد الناصر أو إلى من هم قريبين منها طمعاً في منصب أفضل أو خدمة تؤدى لهم. وأصبح الجيش بذلك مع مرور الوقت أداة قوة في يد جمال وعبد الحكيم، وانعزلنا نحن نهائياً عنه، ونتج عن هذه السياسة فساد الجيش مما ترتب عليه نتائج وخيمة عسكرية وسياسية . " [٢]

رواية نجيب حول إعلان الجمهورية وتعيين عبد الحكيم عامر

والآن نترك محمد نجيب يحكي لنا قصة توليه رئاسة الجمهورية ، وتعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للجيش .

يقول محمد نجيب : " إنني فوجئت بأعضاء مجلس الثورة يطالبون الإسراع بإعلان الجمهورية . وقد رفضت هذا القرار لأكثر من سبب .

رفضته لأنني أردت أن يتحوَّل نظام مصر السياسي بنص الدستور لا بقرار من مجلس القيادة .

ورفضته لأن مجلس القيادة لصق القرار بقرار آخر هو تعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للجيش ، بعد ترقيته من صاغ إلى لواء .

---

(1) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه " ج١ مرجع سابق ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .
(2) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ٧٨

ومن جديد مارس أعضاء المجلس الضغط المكثَّف عليَّ ، وطالبوني بتنفيذ ما اتفق عليه من قبل وهو أن تكون الأغلبية هي الفيصل في اتخاذ القرارات وتنفيذها، وأقنعوني بأهمية أن نبدوا متماسكين أمام الجماهير .

وفي ١٨ يونيو ١٩٥٣ أصْبَحَتْ أقدم ، أحدث رئيس جمهورية في العالم .

وصدر بيان من مجلس قيادة الثورة جاء في نهايته:

أولاً : نعلن اليوم باسم الشعب إلغاء النظام الملكي وحكم محمد علي ، مع إلغاء الألقاب من أفراد هذه الأسرة .

ثانياً : إعلان الجمهورية وتولي الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب قائد الثورة رئاسة الجمهورية مع احتفاظه بسلطاته الحالية في ظل الدستور المؤقت الصادر في ١٠ فبراير ١٩٥٣ .

ثالثاً : يستمر هذا النظام طوال فترة الانتقال ويكون للشعب الكلمة الأخيرة في تحديد نوع الجمهورية واختيار شخص الرئيس عند إقرار الدستور الجديد .

وفي نفس اليوم أصدرت القرار الجمهوري رقم واحد :

اللواء محمد نجيب : رئيس الجمهورية :

... يُعَيَّن حضرة الصاغ أركان حرب محمد عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة ويمنح رتبة اللواء .

وكان القرار الثاني، تعيين سليمان حافظ مستشاراً قانونيّاً لرئيس الجمهورية بمرتب ٣ آلاف جنيه في السنة .

وقد عين سليمان حافظ مستشاراً لي بعد أن استقالة الوزارة، وعدل تشكيلها من جديد، وفي التعديل الجديد عُيِّن البكباشي جمال عبد الناصر نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية ، وعُيِّن البغدادي وزيراً للحربية، وعين صلاح سالم وزيراً للإرشاد القومي لشئون السودان في نفس الوقت . [١]

ويبدأ عبد الناصر في تنفيذ الجزء الباقي من خطة الاستيلاء على السلطة، بعد الاطمئنان على أن الجيش والشرطة أصبحا في يده .

عبد الناصر ووسائل الإعلام

([1]) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ١٩٤ – ١٩٦ .

يقول البغدادي عن بداية الخلاف محمد نجيب وعبد الناصر " في خلال هذا الصيف (صيف ١٩٥٣) أيضاً كانت مظاهر الخلاف بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر قد بدأت تظهر على السطح وذلك على إثر إبراز بعض الصحف المصرية لجمال عبد الناصر على أنه هو الرجل القوي في مجلس قيادة الثورة وجمال نفسه كان يحاول إبراز هذه الصورة أيضاً أمام الغير بتصرفات منه محاولاً تأكيد هذا المعنى، كما أنه كان يقوم بدعوة مجلس قيادة الثورة للانعقاد في غياب محمد نجيب فتؤخذ بعض القرارات ويعلن عنها في الصحف، وكان لهذا التصرف معناه في مفهوم الناس . وعندما رأى محمد نجيب هذا وبدأ هو الآخر يحاول من جانبه إثبات وجوده. فأخذ يدلي ببعض التصريحات في موضوعات لم يكن المجلس قد تناولها بعد بالمناقشة أو أخذ قراراً فيها، وكان هو حتى ذلك التاريخ له شعبية ضخمة بين جماهير شعبنا. والشعب ينظر إليه كقائد لهذه الثورة والمنقذ لهم. ولم تكن عامة الناس تعلم حقيقة الأمر وهذه الصورة من الشعبية كان تشغل بال جمال عبد الناصر، بل وتقلقه. ولكنه كان يحاول في البداية إخفاءها. وأعضاء المجلس كانوا في تلك الفترة يبذلون جهداً خارقاً في خدمة بلادهم والعمل على تحقيق الأهداف التي كانوا ينادون بها. ومحمد نجيب في نفس الوقت كان أكثر منهم تفرغاً ويعمل على كسب ود الشعب ومحبته بمشاركته له في المناسبات المختلفة التي فيها تجمعات جماهيرية، كما كان يهتم بشكوى الأفراد ومطالبهم. والشعب لم يكن قد تعرف بعد على أعضاء المجلس وصورة كل منهم الحقيقية ودوره في خدمة بلده وشعبه حتى يأتي حكمه سليماً على كل فرد منهم .

تلك كانت الصورة قبل أن يستفحل هذا الخلاف ويتفجر بتلك الصورة العنيفة التي تفجر بها والتي كان لها تأثير سيئ على أفراد الشعب والجيش بل وعلى مجلس الثورة نفسه. " [١]

تعريض عبد الناصر بنجيب في خطبه

ثمَّ جهر عبد الناصر بعدائه لنجيب وبدأ يُعرِّض في خطبه به ويتهمه بأنه رجل مستبد وضد الديمقراطية وفي هذا يقول عبد اللطيف البغدادي : " وحدث أنه كان سينعقد مؤتمر شعبي في الإسكندرية يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٥٣، وكان متفقاً أن الذي

([1]) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ٨٠ ، ٨١

سيحضره من أعضاء المجلس هم: جمال عبد الناصر وصلاح وعبد الحكيم فقط. ولكن عندما علم محمد نجيب بانعقاد هذا المؤتمر قرر أن يسافر هو أيضاً إلى الإسكندرية للاشتراك فيه. وقام محمد نجيب بالسفر إلى هناك بالسكة الحديد، ورفض جمال ومن معه مرافقته في القطار وسافروا بالسيارة .

وفي المؤتمر الثاني ألقى جمال عبد الناصر كلمة وأشار فيها إلى الديمقراطية الصحيحة، وحمل على الطغيان والاستبداد. كما طلب في كلمته من المستمعين إليه ألا يسمحوا لأي منافق أو مخادع أن يخدعهم أو يغشهم. ولم يكن يقصد بهذه الكلمات التي وجهها إليهم إلا محمد نجيب نفسه.

وتكلَّم من بعده صلاح سالم، والشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف، وقد تناولا في كلمتيهما هذا المعنى وهذا الاتجاه الذي أشار إليه جمال أيضاً. وذكروا لنا بعد عودتهم من الإسكندرية أن محمد نجيب كان في حالة غيظ شديد لأنه فهم أنه هو المقصود بالذات بتلك الكلمات وهذا الهجوم." [١]

عزل محمد نجيب إعلاميا

ولم يتوقف الأمر عند الهمز واللمز إنما تعدَّى ذلك بسعي عبد الناصر لعزل نجيب إعلاميّاً يقول البغدادي : " علمت من جمال عبد الناصر نفسه أنه قد تكلَّم مع محمد حسنين هيكل المحرر بجريدة الأخبار وأحمد أبو الفتح بجريدة المصري وطلب منهما عدم نشر أحاديث وصور محمد نجيب في جريدتيهما إلا في الحدود الضيقة جداً – وأن أنور السادات قد لمَّح هو الآخر إلى أحمد الصاوي بجريدة الأهرام لاتخاذ نفس الاتجاه. ولما تساءلت عن مدى علم مصطفى وعلي أمين بذلك الأمر أبلغني جمال عبد الناصر أن هيكل قد أبلغهما ومن أنه – أي جمال– يثق بهما." [٢]

ويؤكد خالد محيي الدين كل ما ذكره البغدادي فيقول : " في شهر نوفمبر ١٩٥٣ قد عقد مؤتمر جماهيري بالإسكندرية كان من المفروض أن يتحدث فيه محمد نجيب وحده، وفوجئ نجيب بحضور عبد الناصر، وعامر وصلاح والشيخ الباقوري، وتكلَّم عبد الناصر – خلافاً لما كان مرتباً – وألقى خطاباً شديداً هاجم فيه المنافقين،

---

(1) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ٨٥
(2) نفسه ص ٨٦ ، ٨٧ .

والمخادعين الذين يتمسحون في الديمقراطية. وأحس نجيب أن الهجوم موجَّه إليه ، وشعر بغيظ شديد.

وفي ٣ ديسمبر كان هناك حفل لتخريج رجال الحرس الوطني، وذهب عبد الناصر وتحدَّث في نفس الاتجاه ، وفي نفس الوقت بدأ عبد الناصر يوثِّق علاقاته برجال الصحافة ليسد على نجيب منافذ الإعلام ، فاتصل بأحمد أبو الفتح ، وهيكل، ومصطفى وعلى أمين، وأحمد الصاوي محمد، وكان همزة الوصل في هذه الاتصالات أو أغلبها أنور السادات ، ومن خلال هذه الاتصالات بدأ عبد الناصر يطلب منهم تلميحاً أو تصريحاً ألا ينشروا الكثير من الأخبار عن نجيب، وبدأ الحصار الإعلامي على نجيب، وكان الإعلام والخطب هي كل ما يملكه نجيب، وكل ما يحاول أن يوطد به نفوذه، فبدأ يشعر بحلقات الحصار تضيق حوله، فهم يلاحقونه في المؤتمرات الجماهيرية، وهم يحاصرونه إعلاميّاً فماذا يتبقى له؟ " [١]

عزل محمد نجيب تشريعيا

ولم يكتف عبد الناصر بعزل نجيب إعلامياً بل عمل على عزله تشريعيّاً عن طريق حرمانه من اتخاذ أي قرار سياسي يصدره مجلس قيادة الثورة يقول البغدادي: " في اجتماع مجلس قيادة الثورة يوم ٦ ديسمبر ١٩٥٣ وبعد الانتهاء منه وخروج محمد نجيب أشار جمال عبد الناصر إلى أنه يفضل ألا يظهر أمام محمد نجيب وكأن هناك خلافاً في وجهات النظر بيننا. أي أنه كان يرغب في عدم مناقشاتنا لبعضنا في حضوره. وطلب منا أن نجتمع به في الأسبوع التالي في منزله ليعرض علينا بعض الموضوعات الهامة وموضحاً أنه يرغب في عدم تواجد محمد نجيب في هذا الاجتماع. وأعقب ذلك بقوله لماذا لا نجتمع معاً مرة كل أسبوع وفي يوم آخر غير يوم الأحد؟ وكان هذا اليوم هو اليوم المحدد لاجتماع مجلس قيادة الثورة الأسبوعي، ويقوم بحضوره محمد نجيب. وكان واضحاً أن الهدف هو أن يكون اجتماع يوم الأحد ما هو إلا اجتماع صوري فقط، حتى يمكن شل وعزل محمد نجيب ويصبح وكأنه في جانب والمجلس في جانب آخر. وتحمَّس جمال سالم لهذا الرأي وكان قد اتخذ في ذلك الوقت موقف المؤيد والمساند لجمال عبد الناصر وذلك على غير ما كان عليه في السابق . " [٢]

([1]) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ٢٩٢ .

([2]) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ٨٧

قصة تفويض مجلس الثورة عبد الناصر في اتخاذ القرارات الضرورية

ولكي يُوَفِّر عبد الناصر على نفسه مشقة الاجتماع بأعضاء مجلس الثورة والمشاورة معهم حول القرارات الضرورية قبل عرضها، مشفوعة بموافقة الأغلبية عليها، على محمد نجيب في الاجتماع الرسمي الذي يحضره محمد نجيب – سعى عبد الناصر بمعاونة جمال سالم إلى انتزاع تفويض من أعضاء مجلس قيادة الثورة بأن يتخذ عبد الناصر القرارات الضرورية وحده دون الاجتماع مع المتحالفين معه ضد محمد نجيب !! يقول البغدادي في مذكراته عن هذا القرار الخطير : " واقترح ، جمال سالم ، أن يفوض المجلس جمال عبد الناصر السلطة في اتخاذ القرارات الضرورية دون أن نجتمع في هيئة مجلس وذلك تجنباً للاجتماع مع محمد نجيب على حد قوله. وأوضح اقتراحه بأنه من الممكن لجمال عبد الناصر أن يقوم بالاتصال بأعضاء مجلس الثورة تليفونياً لمعرفة رأي كل منهم في الموضوع المطلوب أخذ قرار فيه ثم يصدر هو القرار على ضوء ما سيتضح له من الآراء المختلفة التي يكون قد استمع إليها من أعضاء المجلس. ووافق أغلبية الأعضاء على اقتراحه فيما عدا صلاح وأنا فقد اعترضنا عليه وأوضحنا أن تلك المسئولية الموكلة إلينا والمسئولين عنها ليست بالأمر اليسير. وأن كلا منا سيسأل عنها في يوم من الأيام أمام التاريخ وأمام الوطن وكذا أمام ضمائرنا. وأنه لا يمكن لنا التنازل عنها وتفويض شخص آخر بها. ولكن هذا القرار كان قد أصبح ملزماً بعد أن وافق عليه أغلبية أعضاء المجلس. " [١]

إبعاد المقربين من محمد نجيب وتهديه

وتتطور الصراع واتخذت قرارات حاسمة لإضعاف نجيب ففي اجتماع مجلس قيادة الثورة يوم الأحد ٢٠ ديسمبر ١٩٥٣ طلب جمال سالم من نجيب أن يستبعد بعض المُقَرَّبين من رجاله كما طلب مجلس الثورة ذلك من الملك فاروق قبل عزله، ووصل الأمر إلى تهديد عبد الناصر محمد نجيب صراحة في هذا الاجتماع بوجوب الخضوع لما يطلب منه . وعن هذا الاجتماع يقول البغدادي : " اقترح جمال سالم عدة اقتراحات وكان على محمد نجيب أن يقوم بتنفيذها ومنها: أن يقوم باستبعاد بعض الأفراد المحيطين به وحددت له أسماؤهم وهم: يوزباشي محمد رياض وكان ضابطاً بالبوليس الحربي ومعيناً كحرس خاص له ويوزباشي رياض سامي وكان يسميه محمد

([1]) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ٨٧ ، ٨٨ .

نجيب مستشاره الصحفي. والموظف صلاح الشاهد التشريفاني بالقصر الجمهوري. ولكن محمد نجيب رفض استبعادهم بحجة أنهم لم يخطئوا رغم أنه قد سبق وذكر له عدة أخطاء وتصرفات صدرت منهم وأساءت إلى الثورة. وعندما اتخذ هذا الموقف ذكر له جمال عبد الناصر "أننا كنا باقين عليك بدليل أننا الذين فتحنا معك موضوع الخلاف، ولكنك تأبى أن تمضي معنا لتحقيق أهداف الثورة – وأن لكل منا طريقه – وعلى القَدَر أن يسير". وكلام آخر يفهم منه أنه قد أعذر من أنذر. ثم تركنا الرجل وانصرفنا وكانت الساعة قد قربت من الخامسة صباحاً.

وفي يوم ٣ يناير ١٩٥٤ أبلغنا عبد الحكيم بعد زيارته لمحمد نجيب بسبب مرضه أنه قد فهم من كلامه أنه قد أصبح مستسلماً. أن كل ما يريده هو ألا يظهر أمام الناس وكأنه طرطور على حد قوله. كما ذكر له أيضاً أنه قد أصبح يخجل من الظهور أمام أفراد الشعب لشعوره بهذه الصورة. " [١]

ويقول أحمد حمروش : " كل الأجهزة الحساسة لم تكن في قبضة محمد نجيب، قيادة الجيش، والداخلية، ووزارة الإرشاد، وهيئة التحرير .. لم يعتمد محمد نجيب إلا على شعبيته، لم يرتبط بتنظيم داخل الجيش، ولم يعقد اتفاقات خاصة مع القوى والأحزاب السياسية المختلفة، ولم يكن له نداء معروف سوى الديمقراطية، وعودة الجيش إلى الثكنات، وهو ما قاله صراحة أمام الضباط في ناديهم في ديسمبر ١٩٥٣ . ولذا الاستقالة بمثابة الاختبار لقوة محمد نجيب في مواجهة المجلس، وامتحاناً لإرادة الشعب . " [٢]

مجلس الثورة يحاول كسب حب الجماهير من نجيب

بدأ أعضاء مجلس قيادة الثورة يتقرَّبون أكثر من الجماهير ليس فقط عن طريق الخطب بل عن طريق إنجاز بعض المشروعات الخدمية العاجلة ليكسبوا تأييد الجماهير في صراعهم على الحكم مع نجيب .

يقول عبد اللطيف البغدادي : " قرر مجلس قيادة الثورة في سبتمبر سنة ١٩٥٣ مصادرة أموال الملك. كما قررت مصادرة أموال أسرة محمد علي وممتلكاتهم. وكذا كل

([1]) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ٨٩، ٩٠ .
([2]) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه " ج١ مرجع سابق ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

من آلت إليه ثروة عن طريق المصاهرة بهذه العائلة ... وهذه الأموال هي في الحقيقة من عرق الشعب ودمه وقد توارثها أفراد هذه الأسرة أبّاً عن جَد .

وكانت لابد أن تعود لأصحابها الشرعيين وهم أبناء الشعب وذلك في شكل خدمات تؤدى له من حصيلة هذه الأموال المصادرة بإقامة المستشفيات والمدارس ووحدات العلاج وخدمات أخرى. وقد قام مجلس الخدمات العامة باستخدام هذه الحصيلة في تنفيذ هذه المشروعات في الريف والمدن. " [١]

ويقول البغدادي في بيان سبب إنجاز هذه المشروعات الخدمية : " كنا نرى أنه بالعمل على زيادة الإنتاج وقيام المشروعات الإنتاجية الجديدة وزيادة الخدمات للشعب والعمل على تحسين الموجود منها فإن ذلك مع الوقت يزيد من قوة الثورة ويضعف من مركز الإخوان المسلمين . " [٢]

ويقول خالد محيي الدين: " اتفقنا على ضرورة الإسراع بمشروعات بناء المدارس والوحدات الصحية في القرى كسبيل للحصول على المساندة الجماهيرية في موجهة أية أخطار أو أية تحركات سياسية مناوئة " [٣]

ويجب أن نتوقف قليلاً أمام ما ذكره عبد اللطيف البغدادي وخالد محيي الدين لنستخلص منه عدة نتائج مهمة :

١- إن أعضاء مجلس الثورة – في ذلك الوقت – لم تكن تهمهم مصلحة الجماهير إلا بقدر ما تقوّي مكانتهم في السلطة ، فإقامة المشروعات الخِدْمِيَّة لم تكن حبّاً في هذا الوطن بل كان هدفها تقوية نفوذ مجلس قيادة الثورة ضد نفوذ محمد نجيب والإخوان المسلمين الذين يؤيدونه ! أو لكسب ثقة الجماهير بعد ذلك .

٢- لم تكن المشروعات الخِدْمِيَّة التي أقامتها الثورة تامة التجهيز مكتملة الإعداد إنما في الغالب الأعم هي مسميات على غير مسمى فالمدارس مثلاً قال خالد محيي الدين أنه بُني في كل قرية مدرسة ، نعم بُني في كل قرية مدرسة إنما مدرسة هي أقل نفعاً من كتّاب القرية الموجود – في غالب الأحيان – فهي مدرسة بلا إمكانيات ولا مدرسين مؤهلين .

---

(1) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ٧٩ .
(2) نفسه ص ٨٩ .
(3) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٢٩٢ .

٣- إن الأموال التي بنت الثورة بها هذه المشروعات الخدمية لم تكن فائض إنتاج أو عمل إنما كانت جزءاً من الأموال المصادرة من أسرة محمد علي وتأميم البنوك والمصانع والشركات .

٤- إن الذي قام بهذه المشروعات أعضاء مجلس الثورة في وقت أن كان القرار يؤخذ برأي أغلبية الأعضاء وقبل أن ينفرد عبد الناصر بالحكم ويحل مجلس قيادة الثورة ، أو عندما كان عبد الناصر الأول بين متساويين على حسب تعبير هيكل .

دق الأسافين بين جماعة الإخوان المسلمين

كان الإخوان المسلمون من القوى التي تناصر محمد نجيب فقرر جمال ورفاقه القضاء على الإخوان المسلمين، واتفقوا على أن يكون ذلك عن طريق اختراق الجماعة وضرب أعضائها بعضهم ببعض .

يقول عبد اللطيف البغدادي : " كان مجلس قيادة الثورة قد اجتمع في استراحة وزارة المعارف الموجودة بمنطقة أهرامات الجيزة يوم ١٨ ديسمبر لمناقشة بعض الموضوعات. وكان من أهمها النظر في أهداف الإخوان المسلمين وما يسعون إليه من الاستيلاء – على السلطة– وكيف يمكن مقاومتهم والقضاء على جماعتهم – خاصة وأنهم كانوا يعملون على التوغل بتنظيماتهم داخل صفوف الجيش والبوليس ونوقش موقفنا حيالهم وحيال هذا الاتجاه منهم وهل نعمل على حل جمعيتهم أو نستفيد من الانشقاق الذي كان قد تواجد بينهم. ورئي أن حل جمعيتهم سيزيد من العطف عليهم ويدفعهم إلى التماسك وضم صفوفهم لمقاومة ودرء هذا الخطر. وأن زيادة الانشقاق بينهم هي الوسيلة لإضعافهم وتفكيك صفوفهم .. وقد أثير في هذا الاجتماع أيضاً موضوع الخلاف مع محمد نجيب والعلنية في هذا الخلاف وما سيصحب هذا من أضرار. خاصة أنه قد أصبح على لسان كل فرد من أفراد الشعب وكان لابد من العمل على تسويته قبل أن يستفحل الأمر. " [١]

ويذكر خالد محيي الدين أن صاحب اقتراح ضرب الأخوان المسلمين هو جمال عبد الناصر " اقترح عبد الناصر أحد حلين : الأول نحل جماعة الإخوان المسلمين، والثاني أن نتركها بينما نركز جهودنا على تعميق الخلافات الداخلية، واتفقنا على أن

([1]) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، المكتب المصري الحديث ج ١ ص ٨٨، ٨٩ بتصرف .

حل الجماعة سوف يزيد من تعاطف الناس معها ، واستقر الرأي على الاقتراح الثاني . " [١]

محاولة عبد الناصر كسب تأييد الإخوان

حاول عبد الناصر ورفاقه قطع أية صلة بين نجيب والإخوان المسلمين، في الوقت الذي يتظاهرون فيه بتقوية علاقتهم بهم ففي احتفال الجماعة بذكرى وفاة حسن البنا في يوم ١٢ فبراير ١٩٥٤ قرر جمال عبد الناصر وصلاح سالم أن يشاركا في الاحتفال، ولكنهما فوجئا بأن محمد نجيب يتصل بصلاح سالم ويبلغه رغبته في حضور الاحتفال .

وعن هذه الواقعة يقول خالد محيي الدين : " غضب عبد الناصر غضباً شديداً، فلم يكن يريد أن يذهب مع نجيب، وإذا امتنع عن الذهاب، وذهب نجيب وحده تأكدت المعلومات الخاطئة التي كان نجيب يسربها للإخوان والتي يؤكد فيها أنه ضد قرار الحل . وفي ذات الليلة اتصل بي كمال الدين حسين ليبلغني أن هناك اجتماعاً للمجلس في بيت زكريا محيي الدين، وفهمت أنه اجتماع خاص بنا، وأن نجيب غير مدعو إليه إنها جلسة ١١ فبراير ١٩٥٤ التاريخية .

كان جمال عبد الناصر متوتراً للغاية وبدأ الاجتماع معلناً أنه غير قادر على التعامل مع نجيب بأي حال من الأحوال، وأنه يريد أن يستقيل وأن يعود إلى الجيش مرة أخرى، وأن نجيب وحده لن يستطيع أن يدير شئون البلاد وحده وسوف يثبت فشله . واختلفنا في الرأي، مجموعة تعارض الاستقالة وتحذر من مخاطرها مؤكدة أن نجيب سوف يحكم بدوننا ثم يطردنا من الجيش وربما يحاكمنا . بينما كان زملاء آخرون متحمسين للاستقالة والعودة إلى الجيش، والاستعداد لعمل ثورة جديدة يطيحون فيها بنجيب .

أما أنا فقد قلت : إذا أردتم الاستقالة فأنا موافق والحقيقة أن سبب موافقتي كان إحساسي بأن الزملاء يرفضون أي تقدم في مجال الديمقراطية وأية عودة للحياة النيابية، وأن هناك اتجاهاً ملحوظاً للتعاطف مع أمريكا .

ويبدو أن عبد الناصر كان متأثراً بما حدث في تركيا لكمال أتاتورك عندما استقال، وخرجت الجماهير الشعبية لتعيده مرة أخرى للسلطة، لكنه نسي أن الوضع كان مختلفاً [١] وبعد نقاش قررنا أن نؤجل الأمر كله إلى الغد .

([1]) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٢٤٢ .

وفي الغد كان هناك الاحتفال بذكرى حسن البنا، وأرسل جمال عبد الناصر إلى نجيب يهدِّده، ويطلب منه عدم الذهاب إلى الاحتفال، وأعود لأكرر عبارة "هدَّده" فقد وجه إليه عبد الناصر ما يشبه الإنذار بألا يذهب، ولم يذهب نجيب، وذهب جمال وتحدث في الاحتفال وعاد ليجتمع بنا .

وبعد مناقشة أكدت لهم أنه في حالة الاستقالة فسوف أستقيل لكنني لن أعود للجيش وثار خلاف، واقترح جمال سالم أن نغتال نجيب، رفضنا الفكرة باستهجان، لكن عبد الناصر كان يهدأ رويداً رويداً ثم تحدث ليعلن أنه سحب اقتراح الاستقالة، ويقترح أن نترك الأمور مرة أخرى للزمن، ربما كان الهدوء ظاهريّاً وربما كان استعداداً لخطة جيدة . " [٢]

ضباط الجيش وحقيقة أهل الثقة

لم تمض إلا بضعة شهور على قيام الثورة حتى كانت مفاتيح النشاط الفعلي في أي مجال من مجالات الحياة المصرية في أيدي الضباط الموالين لعبد الناصر، ولقد ساعده في ذلك – بطبيعة الحال – أن الجيش مؤسسة متعددة الأنشطة بحيث يمكنك أن تجد في صفوفها إلى جانب الضباط التقليديين مهندسين، وأطباء، ومحامين .. إلخ لكنهم يظلُّون على الدوام مدموغين بالطابع العسكري في التفكير والتصرف .

ولكن لماذا لجأ عبد الناصر إلى استخدام القوات المسلحة بالذات ؟

لذلك أسباب عديدة . ولعل واحد منها هو أن عبد الناصر أراد بعد وثوبه إلى السلطة الحقيقية أي بعد إضعاف نفوذ منافسيه داخل مجلس قيادة الثورة، أن يصفي من الجيش كل أثر للعمل السياسي حتى يضمن إبعاد المؤسسة العسكرية وبشكل تام عن أي تأثير في السياسة أو تأثُّر بالسياسة .

وهكذا جرت عملية إبعاد الأعداء، والمشكوك في ولائهم، وكل من تثور حوله شبهة، وكل من ليست ضده شبهة لكن اتجاه ولائه ليس معلوماً، وفوق ذلك كله –وهذا هو الغريب والمثير – فقد أبعد الأصدقاء بل وأخلص الأصدقاء من صفوف القوات

([1]) سوف يلجأ عبد الناصر إلى هذه الطريقة ليتخلص من عبد الحكيم عامر بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ بعد أن تأكدت زعامته ، وقبل أن تعرف الجماهير حجم الكارثة التي وقعت في ١٩٦٧ ولأسباب أخرى راجع كتابنا " هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية " من نفس السلسلة .

([2]) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ٢٤٤.،٢٤٥.

المسلحة؛ وذلك لكي لا يبقى في المؤسسة العسكرية مجال لقول أو نقاش أو نقد أو تساؤل أو حتى محاولة لفهم تطورات السياسة .

تقرر اجتثاث السياسة من الجيش، وهكذا سرَّح مئات من الضباط ، ليسوا جميعاً من الأعداء بل أغلبيتهم كانت من الأصدقاء الفعليين للثورة، ولم يكن من الممكن إبقاء هؤلاء جميعاً في بيوتهم بغير عمل، فهم أصدقاء أولاً، وحتى لا تغضب المؤسسة العسكرية ثانياً، وهكذا فتح عبد الناصر أبواب مصر كلها أمامهم أهل الثقة لا أهل الخبرة يتربعون حيث شاءوا على كل قمة استطاعوا أن يجدوها أو حتى يفتعلوها بادئين بذلك عصراً جديداً .

وثمة سبب آخر هو أن عبد الناصر كان يدرك منذ وصوله إلى السلطة أن الجهاز الحكومي القديم بحاجة إلى تغيير، والتغيير عند عبد الناصر لم يتم من خلال تصفية الجهاز القديم وإبداله بجهاز جديد تماماً وثوريّاً، وإنما تمَّ من خلال استبعاد عناصر محدودة جداً، ثم إتخام الجهاز كله بعناصر من الضباط موثوق في ولائها، وكان ذلك طبيعيّاً – من وجهة نظره – فهو لا يثق بقدرة الشعب على المشاركة الفعلية في إدارة أجهزة السلطة، وهو لا يريد – من ناحية أخرى – أن يخضع تصرفاته لأية مساءلة، هو لا يريد أن يسمع : كيف ؟ ومتى ؟ ولماذا ؟ أين .. ؟

والغريب في الأمر أن " أهل الثقة " هؤلاء قد تدرَّجوا سريعاً في مراتب الثراء بوسائل مشروعة أحياناً وغير مشروعة في أحايين كثيرة حتى أصبحوا من حيث الواقع الاجتماعي والفعلي أعداء لكل ما ينادي به عبد الناصر، لكنهم ظلُّوا دوماً شديدي الارتباط به .

لقد أصبح " أهل الثقة " هؤلاء يوماً ما عقبة أساسية في سبيل تطوير الثورة، كانوا يعرقلون كل عمل ثوري ويعيقون مسيرته، ولم يكن عبد الناصر براغب في تصفيتهم فهم عيونه وآذانه، وهم أيضاً الأداة الطيِّعة المطيعة التي نامت للنعمة ورضيت بها بديلاً عن كل شيء .

لقد كان النموذج الذي يريده عبد الناصر أن تصطف مصر كلها بشعبها ومؤسساتها وأجهزتها صفاً واحداً، منتظماً، مطيعاً، وهكذا وزَّع الضباط في كل مكان كي يحكموا انتظام الصف وانضباطه . (١)

---

(1) لمزيد من التفاصيل د. رفعت السعيد " تأملات في الناصرية " دار المدى للثقافة والنشر ط الثالثة ٢٠٠٠ ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

الأدلة على تحالف عبد الناصر مع الأمريكان للإطاحة بنجيب

كانت هناك قوى داخلية وخارجية وراء عبد الناصر زينت له الاستيلاء على السلطة . القوى الداخلية : تمثلت في :

١- أعضاء مجلس قيادة الثورة - عدا خالد محيي الدين ويوسف صديق - الذين طمعوا في أن يحكموا ، واستطاع عبد الناصر أن يوهمهم بأنه يسعى إلى عمل قيادة جماعية ، وهو ما لم يفعله بعد انفراده بالسلطة .

٢- كثير من الضباط الأحرار كان حريصاً على مصالح ومغانم استفاد منها، أو خائفاً من جرائم ومظالم ارتكبها وتورط فيها، وكان أولئك وهؤلاء يخشون خطر المحاكمة إذا ذهبت اليد المساندة لهم .

٣- بعض السياسيين القدامى الذين استعان بهم قادة الثورة لإدارة شئون البلاد بعدة الثورة مباشرة فطمَّعوا هؤلاء الضباط في الحكم وأقصوا كل المنافسين لهم فيه بغرض الوصول إلى السلطة عن طريق هؤلاء الضباط .

٤- بعض الصحفيين الذين دأبوا على تملق أصحاب النفوذ لتحقيق مزيد من الشهرة والمال والقرب من صاحب القرار .

أما عن القوى الخارجية التي ساعدت عبد الناصر في الاستيلاء على الحكم تتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية التي دعَّمت عبدَ الناصر بتقديم المال له، وتوفير وسائل الحماية، وتدبير المظاهرات المؤيدة له والمعادية لمحمد نجيب .

بداية اتصال أمريكا بعبد الناصر

وحكاية اتصال الأمريكان بعبد الناصر بدأت قبل ثورة ٢٣ يوليو وتحديداً في مارس ١٩٥٢ يقول البروفسور ب. ج فاتكيوتس أستاذ العلوم السياسية في جامعة لندن : " في البداية ، تبنَّى الأمريكيون إمكانية القيام " بثورة سلمية " بقيادة الملك فاروق بأمل إحباط أي انتفاضة شعبية متطرفة ذات توجهات وأهداف غير موثوق بها ؛ ففي بداية ١٩٥٢، تولى " كيرميت روزفلت " أحد كبار مسئولي المخابرات الأمريكية التخطيط لتنفيذ تلك المهمة الخاصة، وعلى الفور ، أدرك أنها مهمة غير واقعية وغير ممكنة، وحتى مارس ١٩٥٢ كان قد أقام اتصالات وثيقة ومحادثات استكشافية مع مبعوثي اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار، بحلول مايو ١٩٥٢، أصبح روزفلت مقتنعاً بأن الضباط الأحرار سيقومون بثورة لن تهدد المصالح الأمريكية والغربية في الشرق الأوسط، وأن الضباط الأحرار يجسدون البديل الوحيد الموثوق به لنظام الملك فاروق،

ومن جانبهم، اكتسب الضباط الأحرار حياد الأمريكيين تجاه محاولاتهم الاستحواذ على السلطة . (١)

وهذا الاتصال الذي تمَّ بين المخابرات الأمريكية والذي بدأ منذ شهر مارس ١٩٥٢ لم يكن يعلم به إلا عدد محدود جداً من تنظيم الضباط الأحرار يأتي في مقدمتهم جمال عبد الناصر رئيس لجنة القيادة، فقد كان من مصلحة الطرفين المخابرات المركزية الأمريكية، والمتصلين بها من الضباط الأحرار إبقاء الأمر سريّاً للغاية .

يقول على صبري الضابط المسئول عن مخابرات الطيران المصري وصديق المحلق العسكري الأمريكي وأحد المكلَّفين من قبل عبد الناصر بالاتصال بالمخابرات الأمريكية قبل قيام الثورة : " أعتقد أن الأمريكان قد وجدوا في الثورة فرصة؛ فهم بمساندتهم لها يستطيعون أن يقللوا من نفوذ الإنجليز، وتحل أمريكا مكان الإنجليز، وكان هذا هدفاً استراتيجيّاً لأمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، ومصر مفتاح الشرق الأوسط، وإذا استطاع الأمريكان أن يزعزعوا النفوذ البريطاني في مصر فإنهم بالتالي يستطيعون ذلك في المنطقة العربية .

كانت هذه هي الأرضية المشتركة التي عمل جمال عبد الناصر على اللعب عليها فهناك تناقض بين الاستراتيجية الأمريكية، والاستراتيجية البريطانية، ونحن نريد أن نتخلص من النفوذ البريطاني، وهذا لا يعني أن تأييد الأمريكان للثورة كان تأييدا مطلقاً، ولكنه يهدف إلى تثبيت أوضاع الثورة، ثم الانطلاق منه إلى تقليص النفوذ البريطاني تمهيداً للسيطرة الأمريكية .

كان الأمريكان من بين الأسباب التي أدت إلى عدم تدخُّل عسكري بريطاني في الأيام الأولى للثورة، فقد كانت هذه المساندة الأمريكية تدفع الإنجليز إلى التفكير في حليفهم الاستراتيجي على المستوى العالمي إذا ما فكروا في مثل هذا التدخل". (٢)

وبعد نجاح الثورة وسطوع نجم اسم محمد نجيب كقائد لحركة الضباط الأحرار ثم رئيس مجلس قيادة الثورة والقائد العام للجيش ورئيس مجلس الوزراء حاول الأمريكان تقوية علاقتهم بنجيب تمهيداً لسير الثورة في فلك القوة العظمى الناهضة.

---

(1) البروفسور ب. ج فاتكيوتس " عبد الناصر وجيله " ترجمة سيد زهران دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع ص ١٠٣

(2) عبد الله إمام " علي صبري يتذكر " روز اليوسف ص ٨ ، ٩ .

وفي أول لقاء يجري بين محمد نجيب وكافري السفير الأمريكي في القاهرة، عرض كافري على محمد نجيب معاونة أجهزة المخابرات المركزية الأمريكية له ولنظام حكمه، وكان هذا رد محمد نجيب عليه : " قلت له : نحن نرفض تعاون أجهزة الأمن مع المخابرات المركزية لأنني لا أريد تقييد حرية المواطنين، وتقوية هذه الأجهزة يجعلها في آخر الأمر هي التي تتحكم فعلاً وكفى ما عانيناه وعاناه شعب مصر من القلم السياسي أما من حيث الأحلاف فلا حديث عنها قبل الجلاء الكامل غير المقيد بشروط .

لكن ما رفضته أنا صراحة قبله جمال عبد الناصر بعد ذلك، تدخلت المخابرات المركزية في رسم خطط حماية عبد الناصر الأمنية، وجاءت له بسيارات وأسلحة خاصة لتنفيذ هذه الخطط، كما أن أسس تكوين المخابرات المصرية التي أقامها زكريا محيي الدين كانت مستمدة من أفكار الأمريكان، وتحولت هذه المخابرات كما توقعت إلى جهاز لتعذيب الشعب المصري وفض كرامته كما حدث بعد ذلك . " [١]

ويقول ناتنج [٢] صديق عبد الناصر الحميم : " أرسلت الولايات المتحدة في شهر أكتوبر عام ١٩٥٣، كرميت روزفلت، أكثر رجال المخابرات المركزية خبرة في شئون الشرق الأوسط، إلى القاهرة لقيم علاقة شخصية مع عبد الناصر، في حين استمر كافري في التعامل مع محمد نجيب وفقاً لما يقتضيه البروتوكول . وكان عبد الناصر يفضل هذه العلاقة غير الرسمية في البداية كما كان يقدر حق التقدير الفرصة التي أتاحتها له هذه العلاقة للاتصال غير الرسمي بواشنطن عن طريق ألان دالاس، رئيس المخابرات المركزية، الذي يتمتع بنفوذ قوي . " [٣]

واعترف حسن التهامي [٤] بأنه اجتمع هو وعبد الناصر مع المخابرات الأمريكية قبل الثورة ، وأنه عمل مع هذه المخابرات لتمكين زعامة عبد الناصر. [١]

---

(1) محمد نجيب " كنت رئيساً لمصر " المكتب المصري الحديث ص ٣١٢ .

(2) أنتوني ناتنج من الشخصيات البارزة التي لعبت أدواراً مهمة في السياسة البريطانية إذ كان يشغل منصب وزير الدولة للشئون الخارجية في حكومة إيدن واستقال من منصبه احتجاجاً على اشتراك بلاده في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، فضلاً عن أن مصادر معلوماته كانت صداقته الشخصية الحميمة بعبد الناصر وصلاته بغيره من الرؤساء ورجال السياسة العليمين ببواطن الأمور في منطقة الشرق الأوسط " شاكر إبراهيم سعيد في مقدمة ترجمته كتاب " ناصر " لنتوني ناتنج مكتبة مدبولي ط٢ ص ٤ .

(3) انتوني ناتنج " ناصر " ترجمة شاكر إبراهيم سعيد مكتبة مدبولي ط٢ ص ٧٢ .

(4) حسن التهامي أحد الضباط الأحرار ومن أقرب الضباط للرئيس جمال عبد الناصر وشغل منصب مدير مكتب المعلومات برئاسة الجمهورية في الخمسينات .

وكعادة الولايات المتحدة الأمريكية أن تتصل بكل القوى المؤثرة في اتخاذ القرار فإنها في الوقت الذي تقوي علاقتها بجمال عبد الناصر الرجل القوي في مجلس قيادة الثورة والمنافس لمحمد نجيب عن طريق المخابرات فإنها في الوقت نفسه تحاول كسب ثقة محمد نجيب وتحذره من عبد الناصر الذي يتآمر عليه، وهي الرابحة في الحالتين فإن نجح سيناريو عبد الناصر في الإطاحة بنجيب فهم من ساعده في الوصل إلى ذلك، وإن فشل عبد الناصر وانتصر نجيب فإن الأمريكان سوف تذكره بأن الفضل كان لها في كشف مخطط عبد الناصر ضدده .

يقول محمد نجيب : " في أواخر عام ١٩٥٣ قال لي قائد الحرس محمد رياض: أنا أحمل لك رسالة من المليونير أحمد عبود .

قلت له : عبود المليونير ؟

قال: نعم !

وتعجبت، فليس لي صلة به، وكل ما أعرفه عنه أنه كان يملك مشروعات كبرى معظمها مشروعات صناعية .

فقلت : ماذا يقول عبود باشا ؟

قال محمد رياض : كان عبود باشا في زيارة للولايات المتحدة للحصول على قرض أمريكي لتنفيذ مشروع للسماد في السويس، وهنا قال له الأمريكان إن عبد الناصر يتآمر ضدك هو وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة، وقد طلب منه الأمريكان إبلاغك بذلك، وقالوا له أنهم مستعدون للوقوف إلى جانبك للتخلص من جمال عبد الناصر ومجلس الثورة .

وفي الحقيقة أنا لم أشك كثيراً في صدق هذه الرسالة، فقد كان عبود صديقاً للأمريكان فعلاً . وكان ردي على عبود الذي حمَّلْته لمحمد رياض هو : أنا أعرف أنك صديق الأمريكان وأنا لا أسمح لك بمزاولة هذا النشاط مع رفضي البات لهذا العرض وأرسل لك تحذيراً بأنني سأصدر أمراً باعتقالك إذا واصلت هذا النشاط .

ونقل رياض رسالتي لعبود الذي أصابه الفزع من تهديدي له بالاعتقال، لكني ضحكت من رد فعله لأنه ليس من طبعي أن أعاقب رسولاً حمل إليَّ رسالة مهما جاء بها .

([1]) محمد جلال كشك " ثورة يوليو الأمريكية " الزهراء للإعلام العربي ص ١٣٠.

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي تصلني رسالة من الأمريكان بهذا المعنى فقد وصلتني رسائل شفهيَّة أخرى منهم خلال بعض الشخصيات العربية وكلها تؤكد أن عبد الناصر يخطط لعزلي وأن الأمريكان مستعدون للعمل بجانبي للخلاص منه ومن رفاقه في مجلس قيادة الثورة، وكنت أرد على من يحملها لي: بأنني لا أرضى، ولا أسمح بأن أستعين بأجنبي واحد على أبناء بلدي، يبدو أن ردي على الأصدقاء الذين حملوا هذه الرسائل كان شديداً وغضبوا منه فابتعدوا عني بعض الوقت ، لكنهم فهموا موقفي بعد ذلك وعذروني ، وأصبحنا أصدقاء كما كنا .

كان الأمريكان في الحقيقة يسعون جاهدين للتسلل داخل السلطة في مصر، ورغم أنني كنت في صراع حادٍ مع عبد الناصر إلا أنني رفضت الاستعانة بهم، ورغم أن عبد الناصر كان يفعل المستحيل للتخلص مني فإنني لم أكن أعتمد في وجودي إلا على جماهير الشارع .

ويبدو أنهم عندما يئسوا مني قرروا التحالف مع عبد الناصر ضدي ." [1]

وأكد الصحفي الكبير مصطفى أمين علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية وتعاونها معه في الإطاحة بنجيب .

يقول مصطفى أمين في رسالته لعبد الناصر بعد القبض عليه بتهمة التخابر مع الولايات المتحدة الأميركية في ٢١ يوليو ١٩٦٥ : " كان كيم روزفلت مدير المخابرات الأمريكية بمنطقة الشرق الأوسط قد حضر إلى مصر في هذه المرة في مهمة قصيرة لا تزيد على يومين، ثم قامت الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحضر كيم إلى القاهرة أيضاً في مهمة الاتصال بقادة الثورة. ولم أقابله هذه المرة ولكني عرفت بحضوره من أعضاء مجلس قيادة الثورة . وزاد تردده على القاهرة بعد ذلك في مهام كثيرة، وقد قابلته في أغلب المرات، وسيادتكم تعلمون أنني قابلته كثيراً في هذه المرحلة . والحقيقة أنني كنت أسعى إلى لقائه عندما أعلم بحضوره . وكنت أجتمع به في حضور الأستاذ محمد حسنين هيكل، وكنا نتغذى معاً في بيتي، وقد توطدت علاقتنا به . وكانت مناقشتنا تدور حول المشاكل التي تدور في الأذهان، وجرى حديث أيضاً عن محمد نجيب، ورأينا أنه لا يصلح، وكانت المرحلة خلال الفترة من سنة ١٩٥٣ إلى ١٩٥٤. وكان كيم روزفلت على اتصال وثيق بالثورة، وكان يقوم بنشاط واسع في هذا المجال

([1]) محمد نجيب " كنت رئيساً لمصر " المكتب المصري الحديث ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

لدرجة أنه كان في ذلك الوقت الأمريكي صاحب أقوى نفوذ من الأمريكيين في مصر، بما فيهم السفير الأمريكي" [١]

وما كان مصطفى أمين ليكذب على عبد الناصر وهو يرسل له رسالة من جحيم تحقيقات صلاح نصر يستعطفه فيها ليفرج عنه مذكراً له بأن ما قام به من الاتصال بالأمريكان لم يكن وليد يوم قبض صلاح نصر عليه في ٢١ يوليو ١٩٦٥ إنما له تاريخ طويل يمتد إلى ما قبل الثورة كان مصطفى أمين وحسنين هيكل وعلى صبري وحسن التهامي وغيرهم همزات الوصل بين رجال المخابرات الأمريكية وجمال عبد الناصر تحديداً دون سواه من قادة الثورة .

ويقول كوبلاند [٢] " كان اعتقادي أن ما قدمناه لعبد الناصر من مساعدات لا يكفي لإقامة علاقات وطيدة معه . ولا أجد مانعاً من أن نستعرض معاً كيف تم تقديم المبلغ له. ففي أثناء زيارة قصيرة لي إلى نيويورك في أواخر ١٩٥٣ التقيت بايرود (وكان يومها مساعد وزير الخارجية الأمريكية) واتفقت معه على أن نوضح لناصر أن مبلغ الأربعين مليون دولار هو " دفعة على الحساب " ومعرض للزيادة (أو النقصان) بناء على الطريقة التي سيستثمر فيها وعلى النتائج التي سيعطيها وأفلحتُ في إقناع بايرود بإضافة مبلغ آخر لاستعمال ناصر الشخصي، وللاستعانة به في اتخاذ تدابير أمن استعداداً لمواجهة مصاعب جديدة بدأت رياحها تلفحه من الداخل (كان هذا عام ١٩٥٣) . كما طلبت من بايرود أن تقوم حكومة الولايات المتحدة بتقديم سيارة " كاديلاك " مصفحة الجدران كهدية لناصر، وترسل له أيضاً خبيراً في المباحث ليشرف على تنظيم الحرس الخاص بناصر، وتزويده بأجهزة إنذار خاصة لحماية منزله وأخرى لاستخدامها في السيطرة على أعمال الشغب والمظاهرات.

---

(1) النص منقول حرفيّاً عن كتاب محمد حسنين هيكل " بين الصحافة والسياسة " شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت ص ٢١٥ .

(2) مايلز كوبلاند أشهر ضباط المخابرات الأمريكية الذين عملوا في مصر واتصلوا بجمال عبد الناصر ومندوبيه، ولقد أثار الناصريون كثيراً من الشكوك حول كتابه " لعبة الأمم " وصحة ما جاء فيه من معلومات، ولكن حسن التهامي في حديث له مع عبد الناصر حول هذا الكتاب قد أكدَّ أن عبد الناصر قد اعترف بأن كوبلاند قد أرسل له نسخة من هذا الكتاب لإبداء الرأي فيه قبل نشر، وأن عبد الناصر لم يعترض على ما جاء في كتاب " لعبة الأمم " ووافق على نشر . راجع في هذا الموضوع كتابنا " أمريكا وعبد الناصر من التحالف إلى العداء " دار زهور المعرفة والبركة .

ومع أن اقتراحاتي هذه قد لا تسترعي انتباه القارئ الآن إلا أنها كانت يومها ضرورية ومعقولة . وقد استحوذت على اهتمام بايرود الذي اعتبر معلوماتي عن الوضع معلومات من الدرجة الأولى . وباشر إنجاز الاقتراحات جميعاً ". (١)

ويؤكد جيفري ارونسون تفضيل أمريكا سياسة عبد الناصر الرامية إلى الاستئثار بالحكم وحده على سياسة محمد نجيب الرامية إلى الحكم المدني الديمقراطي فيقول : " وحين تحرك ناصر علانية في فبراير لإخراج نجيب تكيفت الخارجية الأمريكية بسرعة مع هذا التغيير . وكان بايرود (وكان يومها مساعد وزير الخارجية الأمريكية) يرى نجم ناصر آخذاً في الارتفاع في نهاية عام ١٩٥٣ وذكر أن الدبلوماسيين الأمريكيين لم يفاجئوا تماماً حين استقال نجيب من منصبه كرئيس، وكرئيس للوزراء وكرئيس لمجلس قيادة الثورة في ٢٢ فبراير ٥٤ . وقد رأت النيويورك تايمز في إعادة نجيب بعد ذلك كرئيس في ٢٨ فبراير ٥٤ دليلاً على عدم النضج وعدم الخبرة السياسية التي تبعث على الخوف . واستجابةً لبروز ناصر كرئيس للوزراء في ١٨ أبريل ٥٤ كتبت النيويورك تايمز في افتتاحيتها مرددة خط بايرود وكافري الذين طالما دافعا عنه بأن " الحجة العسكرية " : هي أن الضباط الشبان لم يقوموا بثورة لكي يروا السلطة تعود ثانية للجمهور القديم الفاسد الذي يقوده الوفديون والسعديون ويستغله الاشتراكيون والشيوعيون والإخوان المسلمون .

فإذا كان البديل لذلك هو حكم صارم بواسطة مجلس قيادة الثورة فإن هذا يبدو مفضلاً والجيش هو الوحيد القادر على استعادة الاستقرار . وبدون استعادة سريعة للقانون والنظام فقد يكون هناك فوضى من نوع خطر . " (٢)

نجيب ومفاوضات الجلاء

بدأت مفاوضات الجلاء بين مصر وانجلترا يوم ٢٧ أبريل ١٩٥٣، ورأس محمد نجيب فيها الوفد المصري ، ورأس الوفد الإنجليزي رالف سكراين ستيفنسون سفير بريطانيا في القاهرة ووصل عدد الاجتماعات بين الوفدين المصري والإنجليزي إلى ست اجتماعات كان آخرها يوم ٨ مايو عام ١٩٥٣ والذي صدر في ختامه بيان مشترك يقول إن المفاوضات أرجئت إلى أجل غير مسمى .

---

(1) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير الانترناشنال سنتر – بيروت ص ١٩٧ ، ١٩٨ .
(2) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ١٣٧ .

وقد صارح محمد نجيب الشعب حيث ألقى بياناً بالإذاعة يوم ١٩ مايو أعلن فيه قطع المفاوضات نتيجة محاولة البريطانيين العبث بالمبدأ الذي جعلوه أساساً للدخول في هذه المباحثات وهو جلاء الاحتلال عن مصر جلاءً كاملاً دون قيد أو شرط ، وقد عقدت حكومة الثورة العزم على استخلاص الاستقلال بأيديهم .

وبالفعل قامت حكومة الثورة بتنظيم المقاومة المسلحة في منطقة القناة وازدادت أعمال الاشتباك بالقوات البريطانية، وفي ظل هذا العنف والعمل الفدائي المتكاثف على المعسكرات البريطانية بدأت مصر تلتزم بسياسة جديدة من شأنها الضغط على الولايات المتحدة وجذبها إلى جانبها لتكسبها عنصر ضغط على بريطانيا وهكذا استعملت مصر المسارين في وقت واحد: الجانب العملي الفدائي والجانب التكتيكي السياسي .

وعلى هذا تم الاتفاق بين الوفد البريطاني وبين الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية المصرية علي معاودة المفاوضات بشكل غير رسمي بهدف تقريب وجهات النظر بين الطرفين تمهيداً للدخول في مفاوضات رسمية .

وبدأت فعلا أولى هذه الاجتماعات بشكل غير رسمي يوم ٢٩ يوليه ١٩٥٣ وتوقفت يوم ٢١ أكتوبر ١٩٥٣، ثم عادت المباحثات مرة ثانية برئاسة محمد نجيب، ولم تكن هناك صعوبات كبيرة في تحديد المدة اللازمة لسحب القوات البريطانية إذ اتفق على تحديدها بثمانية عشر شهراً، واتفق على أن يتم ذلك تدريجيّاً، وأن تحل القوات المصرية محل القوات المنسحبة أولاً بأول .

وكان الأمريكان يتوسطون لتقريب وجهات النظر خارج قاعة الاجتماعات واستطاعوا أن يصلوا مع البريطانيين إلى اتفاق بأنه إذا زاد المصريون مدة التصفية تنازلوا عن عسكرة الخبراء ووافق محمد نجيب على ذلك .

كيف أفسد عبد الناصر مفاوضات نجيب على الجلاء ؟

وأوشكت المباحثات بين محمد نجيب والإنجليز على الانتهاء وقرب توقيع معاهدة الجلاء، ولكن فجأة وبعد موافقة الإنجليز على الجلاء التام عادوا يقيدون الجلاء بشروط جديدة .

يقول محمد نجيب : " فوجئتُ والمفاوضات تمضي في طريقها بعدول الإنجليز عما قبلوه بخصوص ضبط حالة العودة إلى القاعدة، ملحين في أن تشمل هذه الحالة أي هجوم على الشرق الأوسط وهو رقعة مائعة المعالم تضم إيران وتركيا . ولم يقفوا عند

هذا الحد بل ظهر من مذكراتهم الأخيرة أنهم يقصدون إلى إبقاء القاعدة ذاتها بعد إنهاء مدتها . وهنا كان الكيل قد فاض بي، وأعلنت مرة ثانية دون تردد قطع المباحثات." (١)

ترى ماذا حدث لكي تتراجع انجلترا عما اتفقت مع محمد نجيب عليه ؟

يقول محمد نجيب : " رغم أني قطعت المفاوضات للمرة الثانية بلا تردد فإن الإنجليز في الحقيقة لم يكونوا على خطأ لتراجعهم فيما توصلنا إليه بشأن حالة العودة للقاعدة فقد أحسُّوا بالخلافات التي نشبت بيني وبين عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة، وأدركوا إمكانية استثمار هذه الخلافات لصالحهم، ولتحقيق مكاسب أكبر لهم .

ولم تكن الخلافات خارج قاعدة التفاوض معهم، إنما كانت داخلها أيضاً . فعندما كنت أجلس مع باقي أعضاء الوفد المصري والبريطاني على مائدة المفاوضات، كنت أجد ظاهرة غريبة، أقرب إلى لعب الصغار، كان بعض الأعضاء المصريين يكتبون أوراقاً صغيرة ويمررونها إلى جمال عبد الناصر الذي كان يقرأها ويشير إلى مرسلها بهزة رأس خفيفة، ولاحظ الإنجليز ذلك أيضاً، ولأن هذه الحركة كانت لا تأتي إلا من العسكريين فقط، فقد أحس المفاوض الإنجليزي بأن جبهة المفاوض المصري بها ثقوب، وغير متحدة، وهذا ما كنت أسعى إليه وأنا في القاعة، أن نبدوا متماسكين، متحدين، لا خلاف بيننا، لكن عبد الناصر كان له رأي آخر، وكان يوحي بأننا على خلاف، وكان يريد أن يثبت للإنجليز أنه الرئيس الفعلي من خلال الحركات التي كان يقوم بها رجاله داخل القاعة أمامهم .

ويوم وقعت هذه الظاهرة أول مرة استدعيت جمال عبد الناصر بعد الاجتماع في مكتبي وثرت في وجهه، وقلت له في غضب لا حد له : إن تصرفاتك أمام المفاوضين الإنجليز لا تضعفني أنا وإنما تضعف مصر، أنت مسئول عن كل نتيجة نصل إليها؛ لأن مثل هذه التصرفات تعلن أن بيننا خلافات، وسوف يستفيد الإنجليز منها وسيسعون إلى تعميقها، وإذا كنت أقبل فيما بيننا فأنا أرفضه على مائدة مفاوضات العدو . وأحنى عبد الناصر رأسه ولم يرد . وتصورت أنه استوعب الدرس ، لكنني اكتشفت أنني كمن يؤذن في مالطا. (٢)

---

(١) محمد نجيب " كنت رئيساً لمصر " المكتب المصري الحديث ص ٣٢٣.
(٢) نفسه ص ٣٢٣ ، ٣٢٤.

لقد بلغت رغبة عبد الناصر في إقصاء محمد نجيب الحد الذي جعله يفسد مفاوضات الجلاء التي يقودها محمد نجيب لينفرد بها هو ويكسب من ورائها المجد والشهرة فسيقال، وقد قيل فعلاً، إن عبد الناصر هو الذي استطاع أن يجلي الإنجليز عن مصر بعد احتلال دام نحو أربع وسبعين سنة !!

ولم يكتف عبد الناصر بذلك بل راح يتصل بالجنرال روبرتسون كبير المفاوضين العسكريين سراً ويعرض عليه مرونة أكبر في المفاوضات إذا تولى هو المفاوضات لاحقاً لذا تراجع الجانب البريطاني عما سبق وأبداه من موافقة على شروط محمد نجيب !! ولقد اعترف روبرتسون بذلك في مذكراته .

بل إن هناك حادثاً قد وقع وله تأثير كبير على مفاوضات نجيب مع الإنجليز، حيث اختطف بعض الفدائيين المصريين جاويشاً بريطانيّاً من منطقة قناة السويس مما سبب هياجاً شديداً للبريطانيين وطالبوا بعودته وحاصر القائد البريطاني مدينة الإسماعيلية وعزلها تماما للتفتيش عنه، وأرسل أيضاً إنذاراً لوكيل المحافظة باتخاذ إجراءات عنيفة ضد المدينة .. بل وصل الأمر إلى البرلمان الإنجليزي الذي ناقش الإنذار وأقره .

ولكن محمد نجيب رفض هذا الإنذار وأصدر أمره إلى وكيل المحافظة برفضه أيضاً، وعندما طلب مستر هافكي الوزير المفوض البريطاني مقابلة محمد نجيب رفض نجيب تلك المقابلة وفجأة ظهر الجاويش في باريس ثم لندن .

يقول محمد نجيب : " وعرفت أن بعض أعوان عبد الناصر هرَّبوا الجاويش الإنجليزي كعربون محبة لعقد الصفقة الكبرى للتخلص مني، وتأكدت من ذلك عندما قرأت في مذكرات الجنرال روبرتسون كبير المفاوضين العسكريين أن جمال عبد الناصر كان يتصل بهم سراً في هذه المرحلة . " (١)

ولا شك أن هذه التصرفات ومرونة عبد الناصر الخفية والتي عرضت مدة تصفية قاعدة قناة السويس لتكون سبع سنوات بدلاً من ثلاث كما اتفق معهم محمد نجيب كل هذا أدى إلى قطع المفاوضات مع محمد نجيب .

---

(١) محمد نجيب " كنت رئيساً لمصر " المكتب المصري الحديث ص ٣٢٨.

عبد الناصر واتفاقية الجلاء

وبعد أن تخلص عبد الناصر من محمد نجيب عن طريق المظاهرات المأجورة في أزمة مارس. (١) عادت المفاوضات للمرة الثالثة برئاسة عبد الناصر حيث وقع اتفاقية الجلاء بالأحرف الأولى في ٢٧ يوليو ١٩٥٤ وقد نصت على أن مدتها سبعة سنوات وأن جزءاً من القاعدة البريطانية سيظل في حالة تأهب للعمل فوراً حسب النص التالي: في حالة هجوم أي قوة خارجية على مصر أو على أي دولة من دول الجامعة العربية أو تركيا – والتي رفضها محمد نجيب – فإن مصر سوف تقدم المساعدات الضرورية لتجهيز القاعدة وعليها أن تستعد لذلك، كما نصَّت على أن تجلو القوات البريطانية من كل الأراضي المصرية في خلال ٢٠ شهراً ابتداء من يوم توقيع الاتفاقية، وأن تحظى بريطانيا بمركز الدولة الأولى بالرعاية في استخدام التسهيلات المصرية.

دعت الخارجية الأمريكية (المتمثلة في كافري، وبايرود) أصحاب القرار في أمريكا إلى مواصلة دعم عبد الناصر وعدم استعجاله في خدمة المصالح الأمريكية.

كما كان من أبرز المساعدات التي قدمتها أمريكا لعبد الناصر ضغطها على انجلترا لتوقيع معاهدة الجلاء عن مصر بل وهددت بالسير في سياسة مستقلة عن انجلترا لو لم توقع معاهدة الجلاء مع مصر، وذلك لرفع شعبية عبد الناصر الذي كان رئيساً للوزراء والمسئول عن المفاوضات المصرية / الإنجليزية آنذاك .

يقول جيفري ارونسون : " سافر كل من إيدن وتشرشل إلى واشنطن في ٢٥ يونيو [١٩٥٤] لمناقشات حول الجلاء وضغط أيزنهاور على تشرشل للوصول إلى اتفاق سريع مع مصر محذراً أن الولايات المتحدة سوف تنفصل عن لندن وتتبع سياسة مستقلة عن الاهتمامات البريطانية إن لم يتم هذا قريباً . " (٢)

وهذا ما أكده خالد محيي الدين في إطار حديثه عن أزمة مارس ١٩٥٤ فيقول : "ومادمت أرصد كل ما حدث من وقائع هامة أو أن أشير إلى واقعة محيرة بل لعلها ظلت تحيرني لأمد طويل ففي هذه الأيام المليئة بأحداث مضطربة غامضة قابلني صحفي فرنسي مرموق ينتمي إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي هو " روجيه استفان "

---

(١) راجع تفاصيل أزمة مارس الفصل التالي .

(2) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ١٤١ .

وكان بالقاهرة ممثلاً لجريدة " فرانس أوبزرفاتور " قابلني ليجري حديثاً معي وأثناء الحديث همس في أذني قائلاً : " سأبلغك بنبأ هام الدوائر الحاكمة في الغرب قررت مساندة جمال عبد الناصر ضد محمد نجيب، إنهم يفضلون جمال لأنه سيكون حاكماً قويّاً ومتفهماً للأوضاع في آن واحد، أما نجيب فهو حاكم ضعيف وأمثاله سرعان ما يخضعون لضغط الجماهير . ومكنتني هذه الهمسات من أن أعرف الاتجاه الحقيقي للريح . " [١]

ويؤكد رياض سامي هذا فيقول " عرفت أن السفير الإنجليزي عزم مجموعة الثورة دون محمد نجيب وعلمت فيما بعد أن مدير الوكالة الفرنسية أبلغ شخصاً معيناً أن عبد الناصر اتفق مع الإنجليز لو تعاونوا معه سيتساهل معهم في اتفاقية الجلاء ومدير الوكالة الفرنسية قال إنهم اتفقوا مع الإنجليز على هذا الوضع ." [٢]

ويؤكد جيفري ارونسون سعادة الإدارة الأمريكية بنجاح عبد الناصر في الوصول إلى السلطة فيقول: "وقد قوبل تولي ناصر للسلطة بالترحاب من أولئك الذين سبق وأن رحبوا بنجيب بلغة المتغيرات التي يفهمها رجال الدولة الغربيون. وباختصار كان ناصر أيضاً ممن يستطيع الغرب أن يتعامل معه وفقاً لشروطه طبعاً." [٣]

الاتفاق غير المكتوب بين أمريكا وعبد الناصر

ولقد اختارت أمريكا الحاكم القوي الذي يستطيع أن يسوق شعبه إلى أي اتجاه تريده فقد كان هناك تحالف سريٌّ بينها وبين عبد الناصر .

وكانت المصالح الأمريكية في ذلك الوقت تتمثل في :

١- الحفاظ على أمن وسلامة إسرائيل .

٢- تحرير الشعوب من الاستعمار القديم (انجلترا وفرنسا) .

٣- أيلولة ميراث الاستعمار القديم إليها وحدها .

٥- تأمين مصالحها الاقتصادية وفي مقدمتها المشروعات المتعلقة بالبترول (تنقيباً، واستخراجاً، وتسويقاً، واستثماراً لعائداته) .

٦- إبعاد الاتحاد السوفيتي عن المنطقة، وحرمانه من ميراث الاستعمار القديم .

---

(1) خالد محيي الدين " والآن أتكلم " مرجع سابق ص ٢٦٨ .

(2) طارق حبيب " ملفات ثورة يوليو " مرجع سابق ص١٦١ .

(3) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ١٣٨.

بينما تمثلت مصالح عبد الناصر بعد عدة شهور من الثورة في :

١- التمكن من الوصول للحكم والاستمرار فيه .

٢- جلاء الإنجليز عن مصر .

٣- الحصول على مساعدات عسكرية لحماية حدود الوطن (وليس مهاجمة إسرائيل).

٤- الحصول على مساعدات اقتصادية للقيام بمشاريع اقتصادية وطنية .

وفي حين كتب لبعض أهداف هذا الاتفاق – غير المعلن – النجاح فشلت أهداف أخرى .

فقد نجح التعاون بين عبد الناصر وأمريكا في :

١- توقيع مصر اتفاقية الجلاء مع انجلترا .

٢- الحفاظ على أمن وسلامة إسرائيل، وإن فشلت المباحثات السرية بين عبد الناصر/شاريت (رئيس وزراء إسرائيل) في توقيع اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل كما كان مأمولاً .

٣- الحفاظ على مصالح أمريكا الاقتصادية في المنطقة .

٤- وصول عبد الناصر إلى حكم مصر واستمراره فيه . [1]

أما محمد نجيب الرجل الديمقراطي الخاضع لرأي الشعب فيجب أن يذهب وتذهب معه الديمقراطية، لكن أمريكا ستدفع ثمن هذا فسوف ينقلب عبد الناصر عليها ويتحالف مع عدوها الاتحاد السوفيتي، وستدفع مصر الثمن غالياً عندما قررت أمريكا القضاء على مصر / عبد الناصر فكانت كارثة يونيو ١٩٦٧ .

شهادة محمد نجيب على استراتيجية الإطاحة به

والآن نستمع إلى شهادة محمد نجيب الطرف الآخر في الصراع ، يقول محمد نجيب : " لاحظت أنهم يعقدون جلسات المجلس بدوني، ولاحظت أنني إذا حضرت بالصدفة وهم يجتمعون توقفوا عن الكلام، وغيروا الموضوع، واتجهوا إليَّ متسائلين عن ما يجب مناقشاته . ولاحظت أنهم أصبحوا يجتمعون في أماكن أخرى بعيدة عني خارج مقر المجلس .

ويبدو أنني كنت بريئاً أكثر من اللازم فلم أتصور أنهم يحاولون إبعادي أو عزلي، وإنما تصورت أن ما يفعلونه سببه فارق السن الذي بيني وبينهم والذي تصورت أنه بدأ

---

(1) لمزيد من المعلومات حول علاقة أمريكا بعبد الناصر راجع كتابنا " أمريكا وعبد الناصر من الاحتواء للعقاب " دار زهور المعرفة والبركة .

يلعب دوره . لم أتصور أن هناك بيني وبينهم تناقضات أو خلافات أو أشياء من هذا قبيل [١] وطلبت من عبد الناصر حل كل التنظيمات السريَّة التي كوَّنها داخل الجيش، والاكتفاء بالتنظيمات العلنية خارجه . كنت أرى وجود التنظيمات السريَّة داخل الجيش سيؤدي إلى التصادم والاشتباك فيما بينها وربما إلى الانقلابات أيضاً، وقد حدث ما توقعته، ووقعت حركة المدفعية، وبعدها جاء تمرد الفرسان . وعندما رفض عبد الناصر وجهة نظري مستنداً في ذلك إلى أن ما يفعله يمثل قرار الأغلبية في المجلس، أجَّلت بحث هذا الموضوع حتى ننتهي من علاج مشكلة أخرى . [٢]

ولم يكتف عبد الناصر بالتنظيمات السريَّة داخل الجيش المؤيدة له بمعاونة عبد الحكيم عامر بل راح يقصي من قيادات الجيش كل من يظهر حبه لمحمد نجيب ، بل أن عبد الناصر قد استأثر بالوزارة التي يرأسها محمد نجيب فراح يقيل منها من يشاء ويعيِّن فيها من يشاء دون الرجوع إلى محمد نجيب رئيس الوزارة !!

يقول محمد نجيب : " وزاد الصدام بيني وبين أعضاء المجلس عندما اكتشفت أنهم ينقلون الضباط دون مشورتي، وعندما قرروا تعيين جمال سالم وزيراً للمواصلات، وزكريا محيي الدين وزيراً للداخلية على أن يتفرغ جمال عبد الناصر لنيابة رئاسة مجلس الوزراء، وكمال الدين حسين وزيراً للتربية والتعليم، أو وزيراً للشئون الاجتماعية بعد أن اعترضت .

ووصل العبث والاستخفاف إلى حد أن زكريا محيي الدين رفض أداء اليمين الدستورية أمامي، وكذلك جمال سالم، وإلى حد أن تنازل المجلس عن صلاحياته وسلطاته إلى جمال عبد الناصر في حالة عدم انعقاده، وهذا ما دفع عبد الناصر للتنازل عن منصب وزير الداخلية لزكريا محيي الدين، ولينفرد، بعمله نائباً لرئيس الوزراء .

وانتقل الإحساس بالسخط على عبد الناصر ومجموعته من خارج الجيش إلى داخله أيضاً فقد بدءوا حركة كبيرة من التنقلات والوقف والترقيات الاستثنائية جعلت أغلبية الشرفاء في الجيش يحتجُّون على تصرفاتهم .

---

(1) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ٢٠٨.
(2) نفسه ص ٢١٠.

ووصل الأمر بهم إلى حد أن ضرب صلاح سالم بحذائه ضابط مخابرات شاب اسمه محمد وصفي ابن الأمير الاي وصفي مدير سلاح الحدود الأسبق أثناء التحقيق معه حتى نزف الدم منه، ومات بعد ذلك .

ثم قرر عبد الناصر إبعاد من يتصور أنهم أنصاري أو من الممكن أن يقفوا معي في أي صدام يقع بيني وبينهم، فأمر بنقل عدد منهم إلى الصعيد، وحدث نفس الشيء مع ضباط البوليس، وتولى هذه المهمة نيابة عنه ضابط مصلحة السجون السابق صلاح الدسوقي الذي كان مُقرَّباً من عبد الناصر في ذلك الوقت، وعينه أركان حرب الوزارة وأعطاه صلاحية الوزير لكي لا يترك زكريا محيي الدين ينفرد بها .

والمعروف أن صلاح الدسوقي ظلَّ تابعاً لعبد الناصر ١٥ سنة أصبح خلالها محافظاً للقاهرة ثم سفيراً حتى تخلَّص منه فترك مصر ورفض العودة إليها .

وذات يوم طلب عبد الحكيم عامر بصفته قائد عام القوات المسلحة من قائد حرسي اليوزباشي محمد أحمد رياض أن يسافر للعلاج في أمريكا لأنه مريض . ورفض رياض السفر وتعجب من القرار لأنه ليس مريضاً ولم يشْكُ حتى من الأنفلونزا، كانوا يريدون إبعاده عني لأنه كان من أشد المخلصين لي، ورفضت أنا أيضاً أن يسافر، ولكن عندما علمت أنهم يدبرون لاغتياله في مصر طلبت منه السفر فوراً إلى أمريكا .

كان عبد الناصر وشلته يسعون علناً للانفراد بالسلطة، كانوا يفعلون كل شيء لفرش الأرض وتمهيدها لذلك .

بعد أن تخلَّصوا من الضباط الأحرار الذين لم يتبعوهم، سعوا للتخلص من الضباط الآخرين الذين يتبعوني، وبعد أن كمموا أفواه المدنيين سعوا إلى تشريد العسكريين، وبعد أن كانوا يقرِّبون الشرفاء أصبحوا يقربون المنافقين وماسحي الجوخ .

ورغم كل ذلك لم أحاول أن أفعل مثلهم، ولم أحاول أن أواجههم بنفس أساليبهم القذرة، فلم تكن أخلاقي لتسمح بذلك كما أنني كنت أسعى جاهداً أن أغطي صورتهم المشوهة أمام الناس حتى لا يفقدون ما تبقى من إيمانهم بالثورة، فهل كان هذا خطأي الكبير ؟

هل أنا المسئول عن ما حدث لمصر على أيديهم بعد ذلك ؟

أظن أني مسئول ؟

لقد تصورت ببراءة أن ما يفعلونه لا بد وأن يكشفهم ويفضحهم ويعزلهم داخل الجيش وأمام الشعب، وكان هذا نفسه تصور خالد محيي الدين .

وأنا لم أعرف عنه ذلك إلا بعد أن اقتربت منه في رحلة إلى النوبة، حيث كان الوحيد الذي قَبِلَ أن يسافر معي هذه الرحلة ." [١]

ولكن أين الفارس الثالث يوسف صديق لماذا لم يقف مع أخوية نجيب وخالد محيي الدين، في الحقيقة كان عبد الناصر قد تخلَّص من يوسف صديق بعدما كثرت اعتراضاته على قرارات مجلس قيادة الثورة الخاصة بإلغاء الأحزاب وإسقاط دستور ١٩٣٢ والسير في طريق الديكتاتورية العسكرية، وأخيراً الأحكام الجائرة التي حكموا بها على ضباط المدفعية فأصر يوسف صديق على الاستقالة في فبراير ١٩٥٣ فضميره لا يسمح أن يكون مشاركاً في كل هذه الجرائم فقبلت منه الاستقالة وعين سفيراً لمصر في سويسرا .

يقول رشاد مهنا " قامت الثورة على أكتاف يوسف صديق كل الثورة دي وأول واحد أبعد بعدي كان يوسف صديق اللي قامت على أكتافه الثورة " [٢]

استقالة الرئيس محمد نجيب

ولم يجد محمد نجيب بدّاً من إعلان استقالته، فهو لم يرض عن كثير من القرارات التي يصدرها إنما يضطرُّ لإصدارها نزولاً على رأي أغلبية المجلس وهو غير راضٍ عنها وتحسب عليه، وهذا ما جعل الناصريون – بعد ذلك – ينسبون إلى محمد نجيب إلغاء الأحزاب وإسقاط دستور ١٩٢٣، وإعلان الجمهورية غير الدستورية، وإعدام خميس والبقري، ومحاكمة ضباط المدفعية، والسياسيين السابقين فيما عرف بمحاكمة الثورة، وحل جماعة الإخوان المسلمين بعد استثنائها، ولم يكن نجيب راضياً عن كل هذا أو على الأقل معظمه لكن جميع القرارات صدرت باسمه لأنه رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة !

([1]) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ص ٢١٤، ٢١٥.
([2]) طارق حبيب " ملفات ثورة يوليو " مرجع سابق ص ١٢٧.

كان من الصعب على محمد نجيب أن يتعامل مع عبد الناصر وأتباعه ممن تشرَّبت قلوبهم حب الرياسة فقدَّم استقالته .

" قرر محمد نجيب الاستقالة بعد صبر طويل على تحمل معاملة زملائه له وهو يبرر ذلك بحرصه على عدم سقوط حركة الجيش فريسة للديكتاتورية وتصوره أن وجوده يمكن أن يحقق الديمقراطية . " [١]

***

(1) أحمد حمروش " ثورة ٣٢ يوليه " ج١ مرجع سابق ص٣٣٢.